الفوائد في النكاح

في بيان الفوائد والمنافع والثواب في النكاح
وبيان الموانع والمحظورات فيه

جمعها احمد بن اشموني

يطلب
من المعهد الاسلامي السلفي
"هداية الطلاب"
قطوء - شمين - كديري

الفوائد فى النكاح

فى بيان الفوائد والمنافع والثواب فى النكاح
وبيان الموانع والمحظورات فيه

جمعها احمد بن اشموني

يُطلب

من المعهد الاسلامي السلفي

قطوة - تمسين - كدبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اظهر المنافع والفوائد فى كل شىء والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد النبى الامى القائل النكاح سنتى فمن رغب عنه فليس منى وعلى آله وصحبه اجمعين .

وبعد فهذه رسالة مسماة « الفوائد فى النكاح » فى بيان ان النكاح عبادة وبيان الترغيب فى النكاح والولد الذى ينبنى عليه باقى الفوائد وبيان التحصن من الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وبيان اراحة النكاح للقلب وتقويته له للعبادة وتفريغ النكاح للقلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس وبيان الفائدة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل وبيان نية التزوج ودخول الزوج بزوجته وآدابه وبيان منافع الجماع وثوابه ومايهيأ ومايعمل قبله وغيرها مما ينفع للجماع ولصحة البدن .

والباعث بوضع هذه الرسالة لكى يعلم الجاهل مثلنا ان فى النكاح منافع وفوائد لاتحصى وان فيه سنة الرسول . كل عمل فيه ان نواه للاخرة ويتبع السنة فهو من عمل الآخرة فلهما ثواب عظيم وكثير لا يحصى فان لم ينو للآخرة فلا ثواب لهما بل عقاب ولعنة ونقمة ان فعلا الممنوع والمحظور . لان فى النكاح موانع ومحظورات .

النكاح عبادة

ذهب ابو حنيفة وبعض الشافعية والمالكية الى ان النكاح لغير التائق افضل مطلقا واطلق الحنابلة ان غير التائق اما خلقة ولكبر او غيره يكون النكاح فى حقه مباحا وعن احمد رواية انه مستحب وقد تشتهر عن الشافعية ان النكاح ليس عبادة وعن الحنفية انه عبادة واستثنى

التقى السبكى من الخلاف نكاح النبى صلى الله عليه وسلم قال انه عبادة قطعا قال النووى ان قصد به طاعة كاتباع السنة او تحصيل ولد صالح او عفة فرجه او عينه فهو من اعمال الآخرة يثاب عليه وهو للتائق له ولو خصيا القادر على مؤنه افضل من التخلى للعبادة تحصينا للدين ولما فيه من بقاء النسل والعاجز عن مؤنه يصوم والقادر غير التائق ان تخلى للعبادة فهو افضل من النكاح والا فالنكاح افضل له من تركه لئلا تفضى به البطالة الى الفواحش اه .

الترغيب فى النكاح

اما الآيات القرآنية فقال تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر بالنكاح وهو اعلم بالخير والصلاح ويقال ان الله لم يذكر فى كتابه العزيز من الانبياء الا المتاهلين اى المتزوجين فالانبياء كلهم متزوجون الا عيسى عليه السلام لكنه جاء فى الاخبار انه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له ويقتل الدجال ويحج ويمكث فى الارض مدة سنين ويدفن عند النبى صلى الله عليه وسلم واما يحيى عليه السلام فقيل تزوج ولم يجامع وقيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر نقله صاحب القوت ولفظه وروينا فى اخبار الانبياء عليهم السلام ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يكن يقربها قيل لغض البصر ويقال للفضل فى ذلك كانه اراد ان يجمع الفضائل كلها وقيل لاجل السنة . واما الاخبار فعن ابى عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع المؤمن ان يتخذ اهلا لعل الله ان يرزقه نسمة يثقل الارض بلا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر وقال صلى الله عليه وسلم ما بنى بناء فى الاسلام احب الى الله عز وجل من التزويج وقال عليه الصلاة والسلام من احب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح وقال صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام التمسوا الرزق بالنكاح وعن الصادق رضى الله عنه من ترك التزوج مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه لقوله سبحانه وتعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال

النبى صلى الله عليه وسلم ياشاب تزوج وإياك والزنا فانه ينزع الايمان من
قلبك وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال وقال على
رضى الله عنه أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين فى نكاح حتى يجمع الله بينهما
وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا فانى مكاثر بكم الامم غدا فى القيامة حتى
ان السقط ليجئ محبنطئا على باب الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول لا حتى يدخل
أبواى قبلى وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يصليهما متزوج أفضل من صلاة
رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره وقال عليه الصلاة والسلام اراذل موتاكم
الاعزاب وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا
مع النبى صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وعن الصادق رضى الله عنه
قال ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها عزب وجاء رجل
الى أبى جعفر رضى الله عنه فقال له هل لك من زوجة قال لا فقال ابو جعفر
لا أحب أن لى الدنيا وما فيها وانى ابيت وليس لى زوجة ثم قال ركعتان يصليهما
رجل متزوج أفضل من رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره وعنه رضى الله عنه
قال العبد الصالح كلما ازداد للنساء حبا ازداد فى الايمان فضلا وعنه قال
اكثروا الخير بالنساء وعنه قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه
العرش وعنه قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين والذواقات
وعنه قال تزوجوا فى الحجز الصالح فان العرق دساس وقال من أخلاق الانبياء
حب النساء وفى صحيح البخارى رضى الله عنه عن سعيد بن جبير رضى الله
عنه قال قال لى ابن عباس رضى الله عنهما هل تزوجت قلت لا قال فتزوج فان
خير هذه الامة أكثرها نساء وعنه قال ثلاثة اشياء لا يحاسب عليهن المؤمن
طعام يأكله وثوب يلبسه وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه وعنه قال
من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله ان الله عز وجل يقول ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن
يلقى الله طاهرا مطهرا فليلقه بزوجة وقال على بن الحسين رضى الله عنهما

من تزوج لله عزّ وجلّ ولصلة الرحم توجه الله تاج الملك وعن النبي صلى الله عليه وسلّم قال من كان موسرا ولم ينكح فليس مني. انتهى مكارم الاخلاق قال علقمة: كنت امشي مع عبد الله بن مسعود بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان يا ابا عبد الرحمن الا نزوجك جارية شابة لعلها ان تذكرك ما مضى من زمانك فقال عبد الله اما ان قلت ذاك فقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء. المراد بالباءة هنا المعنى اللغوي وهو الجماع مأخوذ من المباءة وهي المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا وانما تتحقق قدرته بالقدرة على مؤنه ففيه حذف مضاف اي من استطاع منكم اسباب النكاح ومؤنه وقيل المراد هنا نفس مؤن النكاح سميت باسم ما يلازمها ولابد من احد التأويلين وقوله اغض للبصر لانه بعد حصول التزوج يضعف فيكون اغض واحصن بما لم يكن لان وقوع الفعل مع ضعف الداعي ندر من وقوعه مع وجود الداعي والمراد بالبصر هنا الطرف المشتمل عليه لانه الذي يضاف اليه الغض حقيقة وللنسائي فانه اغض للطرف فصرح به واللام في للبصر وللفرج للتعدية كما قرروه في فعل التعجب نحو ما اضرب زيدا لعمرو ولا فرق بين البابين. وهذا الحديث يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج حيث جعل قوله فانه الخ علة لقوله فليتزوج. والوجاء بالكسر والمد هو عبارة عن رض الخصيتين اى دقهما للفحل بحجر ونحوه واصله الغمز والطعن يقال وجأه في عنقه ووجأ بطنه بالخنجر حتى تزول فحولته مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم اى ليس المراد هنا حقيقة الوجاء بل سمى الصوم وجاء لانه يقطع الشهوة ويدفع شر الجماع كما يفعل الوجاء فهو من مجاز المشابهة المعنوية لان الوجاء قطع الفعل وقطع الشهوة اعلام له ايضا وقال بعضهم الوجاء ان ترض العروق والخصيتان باقيتان بحالهما والخصاء شق الخصيتين واستئصالهما والجب ان تحمى الشفرة ثم تستأصل بها الخصيتان. وقال صلى الله عليه وسلم من نكح وأنكح لله استحق ولاية الله. وقال صلى الله عليه وسلم: من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى فضيلته

اى النكاح لاجل التحرز من المخالفة تحصناً عن الفساد الذى هو الخروج عن حد
الاستقامة وكان المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج
احدهما وهو الفرج وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاث
ولد صالح يدعو له الحديث واما الآثار الواردة فيه قال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه لا يمنع النكاح الا عجز او فجور. فبين عمر ان الدين غير مانع منه وحصر
المانع منه فى امرين مذمومين وهما العجز او الفجور فالعاجز عن مؤن النكاح
ممنوع منه وكذا العاجز لميله الى الحرام ممتنع منه. وقال ابن عباس رضى الله
عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج نقله صاحب القوت. ويحتمل انه جعله
اى التزوج من جملة النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم
قلبه من الوساوس والخطرات لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا
بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا الحلم عكرمة ابا عبد الله المفسر
المتوفى سنة ١٥٨ وكريبا ابا رشدين وغيرهما من بقية مواليه ويقول ان
اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه كذا فى القوت
ومعناه فى حديث ابى هريرة رفعه اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على
رأسه كالظلة فاذا قلع رجع اليه رواه ابو داود والحاكم. وكان ابن مسعود رضى
الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج ولا القى
الله عزبا كذا فى القوت والعزب محركة من لا زوجة له وماتت امرأتان لمعاذ
ابن جبل رضى الله عنه فى ايام الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى
فانا اكره ان القى الله عزبا كذا فى القوت وفى الحلية من طريق الليث بن سعد
عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان فاذا كان يوم احداهما
لم يتوضأ من بيت الاخرى ثم توفيتا فى السقم الذى أصابهم فى الشام والناس
فى شغل فوقعتا فى حفرة فاسهم بينهما ايتهما تقدم فى القبر ومن طريق
الحرث بن عميرة قال طعن معاذ وابو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وابو مالك
الاشعرى فى يوم واحد فقال معاذ انه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين
قبلكم اللهم آت آل معاذ النصيب الاوفر من هذه الرحمة فما امسى حتى
طعن ابنه عبد الرحمن فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد فطعن معاذ الحديث.

وهذا منهما اى من ابن مسعود ومعاذ مما يدل على نهما رأيا فى النكاح فضلاً لا من حيث التحرز من غلبة الشهوة النفسانية وقد كان عمر رضى الله عنه يكثر من النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد نقله صاحب القوت قال وقد كانت هذه نية جماعة من السلف يتزوجون لاجل ان يولد لهم فيعيش فيوحد الله ويذكره او يموت فيكون فرطاً صالحاً يثقل به ميزانه . وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته اى عرضته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يارسول الله انا فقير لا شئ لى وانقطع عن خدمتك فسكت عنه ثم عاد له الكلام ثانياً الا تتزوج فاعاد الجواب مثل الاول ثم تفكر الصحابى فى نفسه وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى الى الله منى لان قال لى الثالثة لا فعلن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ثالثة الا تتزوج فقلت يارسول الله زوجنى فقال اذهب الى بنى فلان فقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تزوجونى فتاتكم قال فقلت يارسول الله لاشئ لى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال اولم فقال يارسول الله لا شئ عندى فقال صلى الله عليه وسلم اجمعوا لاخيكم ثمن شاة فجمع له الاصحاب شاة للوليمة فأصلح طعاما دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هكذا هو فى القوت وهذا التكرير بقوله الا تتزوج ثلاث مرات يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح فأمره بذلك وحكى ان بعض العباد فى الامم السالفة فاق اهل زمانه فى العبادة ولفظ القوت وقد روينا فى اخبار الانبياء ان عابداً تبتل وبلغ من العبادة ما فاق به اهل زمانه حتى وصف بذلك فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشئ من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فاهمه وقال ما ينفعنى عبادتى الليل والنهار وانا تارك للسنة فسأل النبى عن ذلك اذ جاء اليه فقال نعم انك تارك للتزويج قال لست احرمه اى ما تركته لانى حرمته ولكنى فقير لا شئ لى وانا عيال على الناس يطعمنى هذا مرة وهذا مرة

فكرهت أن أتزوج امرأة أن أعطلها وأرهقها جهدا قال ما يمنعك الا هذا قال
نعم قال فأنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته في قصة طويلة
هكذا هو في القوت وقال بشر بن الحرث ابو نصر الحافي رحمه الله تعالى وكان
يعتقد فضل احمد بن حنبل عليه فضل علي احمد بن حنبل رضي الله عنه بثلاث
خصال يطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولا تساعيه في
النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة وانا مما يعرفني الا الخاصة وتقدم
في كتاب العلم ان مثل بشر مثل بئر مطوية لا يرد عليها الا الآحاد من الناس
ومثل احمد مثل دجلة يرد عليها القاصي والداني ويقال ان احمد رحمه الله
تعالى تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت
عزبا نقله صاحب القوت وأما بشر فانه كان يحتج لنفسه بحجة لما قيل له ان
الناس يتكلمون فيك قال وما عسى أن يقولوا قال يتكلمون بترك النكاح ويقولون
هو تارك للسنة قال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة نقله صاحب
القوت وعوتب بشر مرة اخرى في ترك التزويج فقال ما يمنعني من التزوج
الا حرف في كتاب الله عز وجل قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن ولعلي
لا اقوم بذلك قال فذكر ذلك لاحمد فقال وأين مثل بشر ولفظ القوت وأينا
مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان وكان بشر يقول لو كنت أعول دجاجة
خفت ان اكون جلادا على الجسر قال صاحب القوت هذا يقوله في سنة عشرين
ومائتين والحلال اوجد والنساء يومئذ احمد عاقبة فكيف بوقتنا هذا
ومع ذلك فقد روى انه اى بشرا رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل
المتاهلين اى المتزوجين قال صاحب القوت وعندنا في رواية اخرى قال وعاتبني
ربي وقال لي يا بشر وما كنت احب أن تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر
التمار وهو الهلالي الراوي عن رجاء بن حيوة وكان من العباد فقال رفع فوق
سبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال
وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا
رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع

نسوة وسبع عشرة سرية. فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء نقله صاحب القوت تزوج على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها اسماء بنت عميس الخثعمية بوصية منها وخولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة واخرى من بنى ثعلب واخرى من بنى كلاب وليلى بنت سعد من بنى دارم وام سعيد بنت عروة بن مسعود من بنى ثقيف والباقيات سراري وقال صاحب القوت تزوج على رضى الله عنه بعشرة نسوة وتوفى عن اربع وكان قد تزوج امامة بنت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصته فاطمة رضى الله عنها عند موتها بذلك ويقال انه نكح بعد وفاة فاطمة بسبع ليال وكان بعض امراء السلف اذا بلغه عنه كثرة نكاحه يقول لست بنكحة ولا طلقة يعرض له بذلك وقال رجل لابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى طوبى لك يا ابا اسحق فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لدعوة منك بسبب العيال اى بسبب قيامك عليهم وهمك لهم افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذى يمنعك من النكاح قال مالى حاجة الى امرأة وما اريد ان اغر امرأة بنفسي وقد قيل ان فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد فى سبيل الله على القاعد وهذه الافضلية لان المتأهل سبب همه على العيال فى جهاد كبير.

الولد

وهو الاصل الذى عليه ينبنى باقى الفوائد وله اى لاجله وضع ناموس النكاح ولذا قدم فى الذكر والمقصود الاصلى هو بقاء النسل لاجل عمارة العالم وان لا يخلو العالم عن جنس الانسان وانما الشهوة خلقت وركبت فى النوع الانسانى باعثة مستحثة محركة كالموكل بالفحل اى الذكر فى اخراج البذر من صلبه وبالانثى فى التمكين من الحرث فارض الرحمن تلطفا بهما فى السياقة الى اقتناص الولد وتحصيله بسبب الوقاع اى الجماع الحاصل بينهما كالتلطف بالطير الذى يصطاد فى بث الحب اى نثره الذى يشتهيه ويميل اليه ليساق الى الشبكة الموضوعة وكانت القدرة الازلية لكمالها غير قاصرة عن اختراع الاشخاص وابتداعهم ابتداء من غير مثال ولا حراثة بذر ولا ازدواج ولا تسليط

شهوة ولكن الحكمة الالهية اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب الحادثة
مع كمال الاستغناء عنها اى عن تلك الاسباب لانه خالقها اظهارًا للقدرة التامة
واتمامًا لعجائب الصنعة وغرائبها وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة الازلية
وحقت اى وجبت به الكلمة الالهية وجرى به القلم الاعلى على اللوح الفرقانى
من الازل وفى التوصل الى حصول الولد قربة من اربعة اوجه هى الاصل
الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة ومهلكاتها حتى لم يحب احدهم
ان يلقى الله عزبا اى بلا زوجة الاول من الوجوه موافقة محبة الله تعالى
بالسعى فى تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان فاذا علم العبد ان الله عزوجل
احب ذلك فليسع فى تحصيل موافقته لهذه المحبة ليكون ملحوظا بسر يحبهم
ويحبونه والثانى من الوجوه طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير
من به مباهاته مع الانبياء والامم السالفة ولا يتم الوجه الاول الا بتكميل
الوجه الثانى فانه منوط به واذا راعى الوجه الثانى ربما تيسر له الوجه الاول
ولو لم يلاحظه والثالث من الوجوه طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده
اى بعد موته كما جاء فى الخبر او ولد صالح يدعوله وقد تقدم والرابع من الوجوه
طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله فانه يكون فرطا وذخيرة

اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها غورا عن افهام الجماهير
جمع جمهور وهم الاكثرون من اهل العلم والمعرفة وهو احقها واقواها عند ذوى
البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمه الخفية ويستدعى ذلك
الى ايضاح وكشف وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده تحت رقه وطاعته البذر
وآلات الحرث مما يحتاج الحرث اليه من حديد وخشب وحبال وبهائم وهيأ له
ارضا مهيأة للحراثة بأن كانت مسقية وكان العبد المذكور قادرا على الحراثة
والبذر ووكل به من يتقاضاه ويطالبه عليها كالمعين عليه فان تكاسل هذا
العبد عن الخدمة وعطل آلة الحرث عن استعمالها وترك البذر ضائعا حتى فسد
وتلف ودفع الموكل الذى هو عين عليه يتقاضاه عن نفسه بنوع من الحيلة كان
ذلك العبد لامحالة مستحقا للمقت والتأديب والعتاب من سيده حد بما يليق
بحاله والله تعالى خلق الزوجين اى الصنفين من كل جنس وخلق الذكر والانثى

من كلّ نوعٍ هكذا في النسخ وفي بعضها خلق الزوجين الذكر والانثى وهذا موافق
لما في القرآن وفي اخرى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وهذا اشبه بالصواب
وخلق النطفة في الفقار اى فقرات ظهر الذكر وهيّأ لها في الانثيين مثنى الانثى
اى الخصيتين عروقًا تنجلب فيها ومجاري تسيل منها وخلق الرحم قرارًا ومستودعًا
للنطفة وسلّط متقاضي الشهوة على كلّ واحدٍ من الذكر والانثى وتحقيق
هذا المقام يستدعي معرفة تشريح فقرات الظهر والعضلات والعروق التي هي
مجاري النطفة وتشريح الرحم .

اعلم ان فقرات الظهر اثنتا عشرة فقرةً والفقرة عظمٌ في وسطه ثقب
ينفذ فيه النخاع فيتصل كلّ واحدةٍ بصاحبتها من قدامٍ برباطاتٍ ومن خلفٍ
بزوائد تدخل من كلٍّ في الاخرى وعظم الفخذ له زوائد شوكية وشاخصة الى
الفوق واسفل يتصل به عظما الوركين من جانبيه عن يمينه وعن شماله ولكلٍّ
اربعة اجزاء يقال للذي في جنبه منها عظم الخاصرة وللذي من قدامه عظم
العانة وللذي من خلفه عظم الورك وللجزء الباطن المجوّف حُقّ الفخذ
ومنفعتها حفظ ما وضع عليها من المثانة والرحم والمقعدة والمعي المستقيم
واوعية المني في الذكور وجملة ما للبدن من الحركات الارادية سبع عشرة
حركة القضيب واما العضلات البدنية فجملتها خمسمائة وسبع وعشرون
عضلة منها اربع للانثيين في الذكورية وثنتان للانوثة ومنفعتهما جذب
الانثيين الى فوق لئلا يتدليا او يسترخيا ولذلك كانت في الذكورة اربعة
لان بيضتي الذكورة معلقتان وكفى في الانوثة ثنتان لانهما داخلتان ومنها
اربع تحرك الذكر ثنتان ممدودتان من جانبي المجرى النافذ في العصب فاذا
تمددتا حين الجماع مدتا المجرى فيتسع ويقوم مستقيمًا فينفذ فيه المني ويخرج
كما ينبغي وثنتان منشؤهما عظم العانة متصلتان بأصل القضيب على الوارب
فاذا تحركتا باعتدالٍ امتد القضيب مستقيمًا من غير ميلٍ الى جانب فيبقى مجراه
مستقيمًا وان تمددتا خارجًا عن الاعتدال ارتفع القضيب الى فوق وان تحركت
احداهما مال القضيب الى جانبه واما الانثيان فانهما آلتا المني ومعدناه اذ
المني ينزل اليهما من جميع الاعضاء من كلّ عضوٍ جزءٌ وهو فضلة الهضم الرابع

وهو دم فى غاية النضج ويوجد فيه من طبيعة جميع الاجزاء فاذا نزل الى هذا العضو
ابيض وصار منيا وذلك انه ينزل من الصفاق بمجريان ثم يتشعبان
فيكون منه الطبقة الداخلة من كيس الانثيين وفيهما الانثيان وتجئ الى ناحية
البيضتين من اقسام العروق والشرايين السفلة شعب واوعية هى الاوردة
المتلففة المحشوة الخلل بلحم غددى الموضوعة بقرب الانثيين الآتية
من الكلية اليهما ومن الصلب اليها التى تهيئ الدم الى ان يصير منيا اذا حصل
فى الانثيين ولذلك صير الخصيان يحتلمون ويرمون رطوبة بيضاء فيها بعض
المشابهة للمنى ويستلذون بها من غير ان تكون منسلة وللمنى من الانثيين
مجريان يفضيان الى القضيب وفى القضيب ثلاث مجار مجرى للبول ومجرى للمنى
ومجرى للودى ويكون الانتشار بامتلاء تجاويفه ريحا كثيرة ممدودة لعصب
الذكر يسوقها روح كثيرة شهوانية ويصحبه دم كثير ولذلك يجمد ويثقل
ويعين على الانتشار كل ما فيه رطوبة فضلية تتولد منها ريح غليظة فى
العروق والشهوة سببها كثرة المنى اوحدته فلتشوق الطبيعة الى دفعه او
كثرة ريح تنفخ الذكر اونظر الى مستحسن اوتخيله واما الرحم الذى هو موضع
تولد الولد فهو موضوع فيما بين المثانة والمعى المستقيم وشكله كالقضيب
المقلوب وهو بمنزلة كيس الانثيين وهو من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل
الا انه مجوف مقلوب وطول عنقه المعتدل ما بين ستة اصابع الى احدى عشرة
اصبعا وهو يقصر ويطول باستعمال الجماع وتركه وهو مربوط برباطات سلسة
متصلة بخرز الظهر وبجانب السرة والمثانة وهو فى نفسه عصبى يمتد ويتسع
عند الحاجة الى ذلك كما عند الحمل وينضم ويتقلص عند الاستغناء كما
عند الوضع وله زائدتان يسميان قرنى الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا
المرأة وهما اصغر من بيضتى الرجل وينصب منهما منى المرأة الى تجويف الرحم ولكل
منهما غشاء على انفراده وهما موضوعان على جانبى الفرج واوعية المنى
كما فى الرجال وهو ذو طبقتين الباطنة فيها فوهات عروق كثيرة وتسمى
نقر الرحم وبها تتصل اغشية الجنين ومنها يسيل الطمث ومنها يغتذى الجنين
وكل من الطبقتين ينقبض وينبسط ورقبة عضلية اللحم وهو لحم ممزوج

بالغضروف فهو اصلب من سائر اللحوم وفيه مجرى محاذ لفم الرحم الخارج منه يبتلع
المنى ويقذف الطمث ويلد الجنين ويكون فى حال الحمل فى غاية الضيق حتى لا يدخله
الميل وعند الولادة يتسع فسبحان اللطيف الخبير المدبر الحكيم لا اله غيره جل جلاله
وعلا شانه . وهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق بفتح الذال المعجمة وسكون
اللام اى فصيح فى الاعراب اى الافصاح عن مراد خالقها جل وعز وتنادى ارباب الالباب
بتعريف ما اعدت له اى هيئت هذا لو لم يصرح به الخالق تعالى وفى بعض النسخ هذا
ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا
تكثروا اى لكى تكثروا الى اخر الحديث الذى تقدم ذكره قريبا فكيف وقد صرح
بالامر وباح بالسر وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى
فكل ممتنع عن النكاح من غير عذر شرعى هو معرض عن الحراثة الالهية مضيع
للبذر الموهوب معطل لما خلق له من الآلة المعدة اى المهيأة لذلك وفى بعض
النسخ لما كلف من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة الالهية التى فطر
الناس عليها وجان على مقصود الحكمة المخفية المفهومة من شواهد الخلقة المبرزة
على غاية الاحكام والاتقان المكتوبة على هذه الاعضاء الدالة على معانى
الاسرار بخط الهى ليس برقم حروف ابجدية واصوات مقطعة يقرؤه اى ذلك
الخط كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية ويعمل
بمقتضاه ولذلك عظم الشرع الامر فى القتل للاولاد فى الوأد والمراد بالاولاد
الاناث وقد وأد ابنته وأدا من باب وعد اذ دفنها حية فهى موؤدة وكان اهل الجاهلية
يفعلون ذلك لجهلهم بالحكمة الالهية لانه منع لتمام الوجود ومنه قوله تعالى
واذ الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت واليه اشار من قال العزل احد الوأدين
وهو صرف المنى عن المرأة خوف الحمل وهو معنى قول ابن عباس هو الموؤدة
الصغرى لانه بوجود العزل يعدم فضل النكاح اذ كان العبد سبب عدمه لانه لم
يفعل ما يتأتى منه الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله وقالوا ايضا العزل
دقيقة من الشرك لان اهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناتهم معانى اكرهها خشية
العار بهن ومنها كراهة الانفاق عليهن ومنها الشح وخوف الفقر والاملاق وكانوا
من مات له البنون وعاش له البنات سموه ابتر وذموه بذلك وكانوا يقولون

من كان له احدى الحريات الثلاث لم يسد قومه يعنون بهن الام والاخت والبنت فقد توجد هذه المعانى كلها او بعضها فالناكح فى الحقيقة ساع فى اتمام ما احب الله تعالى تمامه وربط عليه نظام عالمه والمعرض عن النكاح معطل ومضيع لما كره الله ضياعه وفرق بين ساع فى اتمام وبين متسبب لتخريب النظام ولاجل محبة الله عز وجل لبقاء النفوس وحفظ ناموسها امر بالاطعام وحث عليه فمنه ما هو فى كتابه ومنه ما هو على لسان رسوله وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فان قلت قولك ان بقاء النسل الانسانى والنفس الحيوانى محبوب يوهم ان فناءها اى النفس مكروه عند الله تعالى من ضرورة التضاد بين المحبة والكراهة وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله عز وجل ومعلوم ان الكل منهما بمشيئة الله عز وجل ومعلوم ان الله غنى عن العالمين ومقتضى وصف الغنى تساويهما عنده على حد سواء فمن اين يتميز عنده تعالى موتهم على حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم وهو اشكال قوى وقد اجابه الغزالى فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل واول من تكلم بها على بن ابى طالب رضى الله عنه فى مخاطبته لبعض الخوارج كما قال فى كتاب العلم فان ما ذكرناه لا ينافى اضافة الكائنات اى المخلوقات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها يسرها وعسرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان يستحيل اجتماعهما فى موضع واحد لان كلا منهما ينافى الآخر فى اوصافه الخاصة وكلاهما لا يضادان الارادة لان كل واحد منهما معها ليس تحت جنس واحد فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصى مكروهة وهى مع الكراهة مرادة اذ الكراهة هى الحكم فى الشئ بانه ينبغى فعله او لا والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية عند الله تعالى اما الكفر والشر فلا تقول انه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال تعالى فى كتابه العزيز ولا يرضى لعباده الكفر كما فصل الغزالى هذا البحث فى قواعد العقائد وكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء وانه تعالى يقول ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد من الموت فقوله ولا بد من الموت اشارة الى سبق الارادة الازلية والتقدير

المذكور في قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة اى قدرهما او اوجد الحياة وازالتها
حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل
ولا مناقضة بين قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته
فان المراد بكراهته للموت ما يناله منه من الصعوبة والشدة والمرارة لشدة
ائتلاف روحه بجسده وتعلقها به ولعدم معرفته بما هو صائر اليه بعده ومعنى
قوله وانا اكره مساءته اى اريده له لانه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ
بنعيم الجنان وقد يحدث الله بقلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه
ما يشتاق به الى الموت فضلا عن كراهته فيأتيه وهو اليه مشتاق وكم لك
من مكنون الطائفة فلا تناقض بينه وبين قوله نحن قدرنا بينكم الموت فتامل
ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان
حقائقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم
وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد مثل ما بين ذاته وذواتهم
وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدسة عنه ولا يناسب ما ليس
بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق.

فهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذى يمنع افشاؤه
الا للخاصة فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام
على النكاح والاحجام عنه فان احدهما وهو المحجم عنه مضيع نسلا ادام الله وجوده
من عهد آدم عليه السلام عقبا بعد عقب وطبقة بعد طبقة الى ان انتهى اليه
فالممتنع عن النكاح قد حسم اى قطع الوجود المستديم من وجود آدم عليه السلام
على نفسه فمات ابتر مقطوعا لا عقب له والابتر من الحيوان من لا ذنب له
شبه به الرجل الذى لا عقب له وقد كان العاصي بن وائل يقول للنبي صلى الله
عليه وسلم انك ابتر وذلك لما مات اولاده الاربعة وبقيت بناته فرد الله
عليه وقال ان شانئك هو الابتر بمعنى الابتر الذى قد انقطع ذكره بعد موته
وثناؤه فلا يذكر بخير بعد موته اى فاما انت فقد رفعنا لك ذكرك بذكر معي
اذا ذكرت ولو كان الباعث على النكاح بمجرد دفع الشهوة لما قال معاذ بن جبل

رضى الله عنه فى الطاعون الذى أصابه زوّجونى لا القى الله عزبا بلا زوجة
كما تقدم فان قلت فما كان معاذ رضى الله عنه يتوقع ولدا فى ذلك الوقت لاشتغاله
بنفسه عما وجه رغبته فيه فاقول فى الجواب الولد يحصل بالوقاع كما جرت به
سنة الله تعالى ويحصل الوقاع بباعث الشهوة الغريزية وذلك امر لا يدخل
فى الاختيار البشرى انما التعلق باختيار العبد احضار السبب المحرك للشهوة
وذلك متوقع فى كل حال فمن عقد عقدا فقد أدى ما عليه بالوجوب او السنية
والاستحباب وفعل ما اليه وجه والباقى خارج ولذلك يستحب النكاح للعنين
ايضا وهو الذى لا يقدر على اتيان النساء او لا يشتهى النساء فان نهضات
الشهوة خفية لا يطلع عليها لانها تختلف باختلاف الاشخاص حتى ان
الممسوح الذى لا يتوقع له ولد وهو الذى مسحت مذاكيره اى قطعت لا ينقطع
الاستحباب فى التزويج ايضا فى حقه وفى حكمه الخصى والمجبوب على الوجه
الذى يستحب للاصلع الذى انحسر الشعر عن مقدم رأسه امرار الموسى اى
موسى الحديد على رأسه اقتداء بغيره من الحالقين وتشبيها بالسلف الصالحين
وهذا قد روى عن ابن عمر انه قال فى الاصلع يمر الموسى على رأسه اخرجه الدارقطنى
وكما يستحب الرمل وهو الاسراع فى الطواف والسعى والاضطباع وهو نوع من
الارتداء مخصوص بالطواف فى الحج الآن وقد كان المراد منه اولا فى زمنه صلى
الله عليه وسلم اظهار الجلد والقوة للكفار الذين قالوا وهنتهم حمى يثرب
وصعدوا قعيقعان فيتفرجون عليهم فصار الاقتداء والتشبيه بالذين اظهروا
الجلد سنة فى حق من بعدهم كما بين الغزالى كل ذلك فى كتاب الحج ويضعف هذا
الاستحباب اى بالنظر الى الاقتداء والتشبه بالاضافة الى الاستحباب فى حق
القادر على الحرث مع التمكن من الآلة وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة
تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر منها فان ذلك لا يخلو
عن نوع الخطر فهذا المعنى الذى ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع
فتور داعية الشهوة فافهم ذلك فانه دقيق الوجه الثانى السعى فى محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اى مفاخرته
اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حيث قال تناكحوا تكثروا فانى

اباهي بكم الامم يوم القيامة وقد تقدم ذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان ينكح ويقول انما انكح لاجل الولد اى لحصوله كما فى القوت وتقدم وهذا مع كمال زهده فى الدنيا واشتغاله بمهمات الدين وامور المسلمين وما روى من الاخبار فى مذمة المرأة العقيم وهى التى لا تلد اذ قال صلى الله عليه وسلم لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد قال العراقى رواه ابو عمر والنوقانى فى كتاب معاشرة الاهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم اجده مرفوعا اهـ قلت هو فى القوت ولفظه حصير فى البيت خير من امرأة لا تلد وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الولود الودود وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل فى اقتضاء فضل النكاح من دفع غائلة الشهوة لان الحسناء من النساء اصلح للتحصين اى لتحصين الفرج عن الحرام وغض البصر عن الغير وقطع الشهوة فان جماع الحسناء يستدعى استفراغ ماء الرجل الذى هو داعية الشهوة ولذا ادعى اصحابنا فى الائمة وترتيب افضليتهم ان تكون زوجته حسنة لما ذكرناه الوجه الثالث ان يبقى بعده ولد صالح يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع عمل ابن ادم منقطع الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وفى الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور . وقول القائل ان الولد ربما لا يكون صالحا وقد ورد التقييد به فى الخبر فهذا القول لا يؤثر فانه مؤمن على كل حال فالصالح هو الغالب على اولاد ذوى الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح فهو السبب فى صلاحه وارشاده الى الهدى واذا قلنا ان المراد بالصالح المسلم لم يحتج الى تأويل وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد ينتفعان به برا كان الولد او فاجرا فهو اى الاب مثاب على دعائه وحسناته فانه من كسبه فانه تعالى يثيب المكلف بكل فعل يتوقف وجوده توقفا على كسبه سواء فيها المباشرة والسببية وما يتجدد حالا فحالا من منافع الصدقات الجارية ويصل اليه من صالحات اعمال الولد تبعا لوجوده الذى هو سبب عن فعل الوالد كان ذلك ثوابا لاحقا به غير منقطع وهو غير مؤاخذ بسيآته واوزاره فانه قال الله

تعالى : ولا تزر وازرة وزر أخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى
ولذلك قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
فى دخول الجنة والدرجة لما فى الخبر ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه وما التناهم من عملهم من شيء اى ما نقصناهم
من اعمالهم بهذا الالحاق وقيل جازيناهم بهم وجعلنا اولادهم مزيدا فى
حسناتهم لانهم من اعمالهم واكسابهم كما قال ما اغنى عنه ماله وما كسب اى
ولده ففى تدبره ان الولد يغنى المؤمن فى الآخرة كما يغنى المال عنه اذا انفقه
فى سبيل الله ويروى ولد الرجل من كسبه فاحل ما اكل من كسب ولده ويحتمل
ان يكون بالتفضيل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه ثم قال كل امرئ بما كسب
رهين اى بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فلها والا فهلكها وفى اول
الآية اشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان الوجه الرابع ان يموت
الولد قبله فيكون له شفيعا فى يوم القيامة فقد روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفى بعض الاخبار يأخذ
بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وهذا عند مسلم من رواية ابى هريرة وقال
صلى الله عليه وسلم ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب
الجنة فيظل محبنطئا من احبنطى افعنلى من ملحقات المزيد على الثلاثى
بثلاثة اى ممتلئا غيظا وغضبا وممتنعا من دخول الجنة امتناع طلب لا
امتناع اباء ويقول لا ادخل الجنة الا وابواى معى فيقال للملائكة ادخلوا
ابويه معه الجنة . وفى خبر آخر ان الاطفال يجتمعون فى موقف يوم القيامة
عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة
فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المؤمنين ادخلوا الجنة لا حساب
عليكم فيقولون فاين آباؤنا وامهاتنا فتقول لهم الخزنة ان آباءكم ليسوا
مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون ويطالبون بها قال
فيتضاغون اى ينصايحون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول
الله سبحانه للملائكة وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال
المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى للملائكة تخللوا

الجمع اى ادخلوا فى خللهم فخذوا بايدى آبائهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان . وحكى ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى اى يمتنع عنه برهة من دهره اى مدة قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقنى ولدا فيقبضه اليه فيكون لى مقدمة فى الآخرة اى فرطا وذخرا ثم حدث عن سبب ذلك قال رأيت فى المنام كان القيامة قد قامت وكنت فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ما كاد ان يقطع عنقى وكذا الخلائق فى شدة العطش من الحر والكرب فنحن كذلك اذا ولدان صغار يتخللون الجمع اى يشقون فى خلالهم عليهم مناديل من نور اى على رؤسهم و بأيديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب جمع كوب بالضم وهو كوز مستدير الرأس لا اذن له ويقال قدح لا عروة له وهم يسقون الواحد بغير الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون اكثر الناس فمددت يدى الى احدهم وقلت اسقنى شربة فقد اجهدنى العطش اى اوقعنى فى الجهد فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا فقلت من انتم فقالوا نحن ممن مات من اطفال المسلمين اورده صاحب القوت بتمامه واحد المعانى المذكورة فى القرآن فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة لانهم ممن اعمالكم الثالث قيل المراد به التسمية عند الجماع اى اذكروا الله عنده فذلك تقدمة لكم فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد اى لحصوله .

التحصن من الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج

التحصن من وساوس الشيطان المسلط على الانسان بشركه وشركه وكسر التوقان بحركة منازعة النفس الامارة ودفع غوائل الشهوة النفسية وردع مهالكها وغض البصر عما لا يليق النظر اليه وحفظ الفرج عن الحرام واليه الاشارة بقوله

صلى الله عليه وسلم من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر
تقادم قريبا بلفظ من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى
كما قال الغزالى واليه الاشارة ايضا بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه
بالصوم فان الصوم له وجاء . واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا
المعنى وهو التحرز عن غوائل النفس وغض البصر والفرج وهذا المعنى دون
المعنى الاول الذى هو تحصيل الولد لان الشهوة موكل متقاض لتحصيل الولد
والنكاح كاف لشغله ودافع لجعله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه
رغبة فى تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة الموكلة وبينهما بون
فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط معنوى احدهما متوقف على الآخر لولا
تحصيل الولد ما ركبت الشهوة وبالشهوة تتحرك دواعى الجماع فيكون ذلك
سببا لحصول الولد وليس يجوز ان يقال المقصود بذاته اللذة الحاصلة من
الجماع والولد لازم منها اى من تلك اللذة كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل
وليس مقصودا فى ذاته بل نقول الولد هو المقصود بالفطرة الاصلية والحكمة
الالهية والشهوة باعثة عليه ومحركة له ولعمرى فى الشهوة حكمة اخرى سوى
الارهاق اى المداناة الى الايلاد وهو بمعنى الاستيلاد وهو ما فى قضائها اى
تلك الشهوة من اللذة التى لا توازيها اى لا تساويها ولا تقابلها لذة لو دامت
ولكن دوامها غير حاصل ولذا قالوا هى لذة ساعة ولا يريدون بها الساعة
الزمانية بل اللحظة التى يحصل له فيها الاقبال الى الجماع فاذا اولج وانزل انقضت
اللذة وقالوا اللذة اسبوع دخول الحمام ولذة سنة مضاجعة البكر ولذة دهر
محادثة الاخوان فهى منبهة عن اللذات الموعودة فى الجنان ودالة عليها
اذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين فى لذة الجماع
او الصبى فى لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب والعنين اذا مثلنا له لذة
الجماع فمثلها عنده بشئ من اللذات التى يدركها كلذة الطعام الحلو مثلا فنقول
له الا تعرف ان السكر لذيذ فانك تجد عند تناوله حالة طيبة وتحس فى
نفسك راحة قال نعم قلنا فالجماع كذلك افترى ان هذا يفهمه حقيقة لذة
الجماع كما هى حتى ينزل فى معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وادركها هيهات

هيهات انما غاية هذا الوصف ابهام وتشبيه ومشاركة فى الاسم وحقيقة لذات
الجنة لايمكن ان نفهمها للراغب فيها الا بالتشبيه باعظم ما ناله من اللذات
منها لذة الجماع ولذات الجنة ابعد من كل لذة تدرك فى الدنيا بل العبارة
الصحيحة عنها انها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان
مثلناها بالجماع المعهود فى الدنيا فكذلك قال الغزالى فهى منبهة على لذات
الجنان فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ليكون باعثا
على عبادة الله تعالى وهذه دقيقة يتفطن لها فانظر الى الحكمة اللطيفة
اولاً ثم الى الرحمة من الله لخلقه فى باطن تلك الحكمة ثم الى التعبية الالهية
حيث عبيت اى رتبت واصله من تعبية الجيش والمتاع تحت شهوة واحدة
حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله
فانه نوع من دوام الوجود ولذا قال حكيم العرب من لم يلد فكانه ما ولد ومن
لم يكن له نسل فبماذا يسلو والحياة الباطنة هى الحياة الاخروية فان هذه
اللذة الناقصة المنصرمة بسرعة الانصرام اى الانقطاع تحرك الرغبة
والشوق فى اللذة الكاملة الموعود بها بلذة الدوام من غير انصرام فتستحث
على العبادة الموصلة اليها الى تلك اللذة الباقية فيستعد العبد بشدة
الرغبة فيها ويستلذ بتيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان ولذاتها
الباقية ابد الاباد وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من
ذرات ملكوت السموات والارضين الا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها
ما تحار العقول فيها وهذا المعنى الذى اشار اليه الشيخ فى الخطبة بقوله
لا تصادف سهام الاوهام فى عجائب صنعته مجرى ولا ترجع العقول عن
اوائل بدائعها الا والهة حيرى واليه الاشارة ايضا بقول القائل :

وفى كل شىء له آية * تدل على انه واحد

ولكن انما ينكشف ذلك للقلوب الطاهرة من كدرات الظلمة الطبيعية بقدر صفائها
وانجلائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها واغوائها وارباب هذه
القلوب هم اهل المكاشفة والمشاهدة المتخلقون باخلاق الله تعالى تتضح لهم
حقائق تلك الذرات بالبرهان الذى لايجوز فيه الخطأ ما يجرى فى الوضوح

مجرى اليقين الذى يدرك بمشاهدة الباطن لا باحساس الظاهر واما من لم يكن له حظ فى معانيها الا معرفة اسمائها الظاهرة وفهم معانيها اللغوية ولم يتعد عن ذلك فهو منحوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به ان يتبجح بما ناله ويترقى ارباب هذه المراتب الى مقام ينبعث من فهم تلك المعانى شوقهم الى الاتصاف بما يمكن الاتصاف به حسبما يعطيه مقامه وهم اهل الحظوظ من المقربين

فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يؤتى عن عجز عن مؤنه وعنة وهم غالب الخلق ومن به عجز او عنة نادر فيهم فان الشهوة ان غلبت فى الانسان ولم تقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش اى الدخول والتعرض لها واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فى كتابه العزيز الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى وساعده التوفيق الربانى فغايته ان يكف الجوارح ويردعها عن اجابة الشهوة واطاعتها بغض البصر وحفظ الفرج مهما امكنه ذلك فاما حفظ القلب عن الوساوس المعترضة والفكر المشوشة فلا يدخل تحت اختياره ولا يقدر على دفعها بل لا تزال النفس تجاذبه وتحاوره وتحدثه بامور الوقاع اى الجماع وهيأته وكيفياته ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه اى لا يسكن ولا يضعف فى اكثر الاوقات هذا دأبه وشأنه بل وقد يعرض له ذلك فى اثناء الصلاة وتضاعيف انواع العبادات حتى يجرى على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدى اخس الخلق لاستحيا منه فكيف بين يدى عالم الخفيات وهو يناجيه ويواجهه ويحادثه والله مطلع على قلبه وسريرته والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق محادثته اياه بما هو بقلبه كما ان محادثة الخلق تكون باللسان والمواظبة لا نفطم مادة الوسوسة فى حق اكثر الخلق فهم لا يخلون عنها الا ان ينضاف اليه ضعف فى البدن اى فى اصل بنيته بطرو عوارض وفساد فى المزاج والمزاج كيفية متشابهة من تفاعل عناصر متفقة الاجزاء المماسة بحيث يكسر سورة كل منها سورة الآخر والفساد الذى يعتريه بحدوث عوارض نفسانية ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة فى الناس

قلّ من يتخلص منها الا من عصمه الله تعالى قال قتادة فى معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة نقله صاحب القوت والغلمة بالضم الشبق وهو شدة الشهوة وقد غلم كفرح اذا اشتدت شهوته وا غتلم مثله واخرج ابن جرير عن السدى ما لا طاقة لنا به قال من التغليظ والا غلال الى الغلمة واخرج ابن ابى حاتم عن مكحول ما لا طاقة لنا به قال الغربة والغلمة والا نعاظ وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا فى معنى قوله تعالى : وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء نقله صاحب القوت وقال الصغانى فى العباب خلق الانسان ضعيفا اى يستميله هواه وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه نقله صاحب القوت وفى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنه قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر . وهذه بلية غالبة ومحنة عامة واذا هاجت وثارت لا يقاومها عقل ولا دين تتغير سمنته ويحمر وجهه ويختلط لسانه ويتلجلج فى كلامه ويضطرب جسمه ويثور عليه الوسواس ولا يعى شيئا فلو رأى وجهه فى تلك الحالة فى مرآة لراه عجبا وهى مع انها صالحة لان تكون باعثة على تحصيل الخير كما سبق بيانه فهى اقوى آلة الشيطان على بنى آدم يسوّل على قلبه وعقله بتلك الآلة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم ما رأيت ناقصات عقل ودين اغلب لذوى الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة فيهن فان الله عز وجل ركب فيهن تسعة اعشار الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وشر منيّى . المراد منه من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة الى الجماع الذى اذا فرط ربما اوقع فى الزنا اومقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة . وقال صلى الله عليه وسلم اسألك ان تطهر قلبى وتحفظ فرجى فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره . وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو ولفظ القوت حدثنا بعض علماء خراسان عن شيخ له من الصالحين كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك ووصف من صلاحه وعلمه قال وكان يكثر التزويج حتى لم يكن يخلو من اثنين او ثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية

هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت ثم قال لكنني ما خطر على قلبي خاطر قط يشغلني الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية اورده هناحب القوت بتمامه وهو الذي اوصى به مشايخنا السادة النقشبندية قالوا اذا وقع للسالك في اثناء الذكر والمراقبة تفرقة من خاطر خطر بقلبه بسبب وقوع بصره على فرس اعجبته او جارية او تحركت نفسه للتزويج او شراء ثوب او غير ذلك فليدفع هذا الخاطر بالذكر مهما امكنه والا فلينفذه سريعا ان قدر عليه ثم يرجع الى شغله. وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة اذا اقبلت اقبلت بصورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذي معها وقال عليه السلام لاتدخلوا على المغيبات وهي التي غاب زوجها عنها فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم معناه فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لايسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل - وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج غدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت

الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولاجل
فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك
وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس
فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة
الاخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة الى يوم من ايامها وروى
أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال له
ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم اردت أن اسأل مسئلة فاستحييت من الناس
وانا الآن أهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما كنت افضيت
به الى ابيك فأفض الي به فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على
نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم
قال أف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على ان العزب
المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد
منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منه
لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع
الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى
الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من
الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح
فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته
لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر
الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة
بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى
الأربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والا فيستحب له
الاستبدال فقد نكح علي رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع
ليال ويقال ان الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة
وكان ربما عقد على اربع في وقت واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل
بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال صلى الله

عليه وسلم حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة.

اراحة للقلب وتقوية له للعبادة

ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة في وقت فتورها عن الذكر اراحة للقلب وتقوية له على العبادة وتنشيطا فان النفس ملول اي كثيرة الملل والسأم والضجر وهي عن الحق نفور لا تستطيع دوام الوقوف في مقام المشاهدة لانه على خلاف طبعها الذي جبلت عليه فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها من حيث الطبع جمحت وثابت اي رجعت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت على العبادة وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب ويقوي عقد الارادة - وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات الشرعية ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وهذا سكون النفس الى الجنس لاجتماع الصفات الملائمة للطبع ومن هنا قال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان تكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال عليه الصلاة والسلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة و الفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لا تقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل عليه السلام ضعفي عن

الوقاع فدلّني على الهريسة فهذا ان صح من طريق لا يحمل له الا الاستعداد للاستراحة ليتقوى بها على العبادة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال الباطنة وهي اي تلك الفائدة خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها لتطرد في حق الممسوح اي الخصي والمجبوب ومن لا شهوة له كالعنين ونحوه الا ان هذه الفائدة تجعل النكاح فضيلة زائدة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك ولا يحوم حوله واما الولد اي حصوله وقصد دفع الشهوة مما يكثر وقوعه ثم رب شخص يستأنس بالنظر الى الماء الجاري ويستروح بخريره والخضرة من النباتات والاشجار او من الالوان ما كانت على هيآتها وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن بل ربما يحصل له الانقباض من ذلك فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فرب امرأة حسناء خلقا وخلقا محادثتها تروح نفس الشخص ورب حسناء خلقا لا خلقا فتشمئز من محادثتها النفس ورب حسناء خلقا شوهاء خلقا لا تميل لها النفوس ورب شخص مطبوع على شدة وقساوة لا يميل الى شيء من ذلك ولو كانت امرأته مكملة صورة ومعنى فهذا معنى باختلاف الاحوال والاشخاص والحاصل ان عادم الاستروح اليهن فاسد التركيب ردئ المزاج يحتاج الى العلاج ولا يعبأ باستروحه بالنظر الى الخضرة والماء الجاري فان الاستروح الى النساء هو الاصل وما عداه بواعث عليه فليتنبه له فانه دقيق .

تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكلف بشغل الطبخ والكنس

من الفوائد : تفريغ القلب عن ما يشغله من الامور الظاهرة الملازمة التي

لا ينفك عنها الانسان مثل تدبير امور المنزل الجزئية والكلية والتكلف بشغل الطبخ للطعام والكنس اى كنس المنزل عن التراب والغبار والعنكبوت فقد وصفت ام زرع جاريته بانها لا تعثث ميرتنا تعثيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا اى لا تترك الكناسة والقمامة فيه كعش الطائر بل تصلحه وتنظفه والفرش اى فرش الحصير وغيره وتنظيف الاوانى بغسلها بالماء وتهيئة اسباب المعاش من كل ما لا يليق بها فان الانسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده اذ لو تكلف بجميع اشغال المنزل من كنس وفرش وطبخ وغسل لضاعت اكثر اوقاته فى تدبير امور المنزل ولم يتفرغ للعلم والعمل لعدم اجتماع حواسه فالمرأة الصالحة للمنزل عون على الدين اى على تحصيل اموره بهذا الطريق والمرء بنفسه عاجز فى الجملة واختلال هذه الاسباب شواغل ظاهرية ومشوشات باطنية للقلب ومنغصات للعيش فى الغالب ولذلك قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة نقله صاحب القوت اى ليست معدودة من جملة الدنيا بالسبب لتفريغ قلب زوجها فيشتغل بما يقربه الى الله تعالى ومما يعين على الآخرة فهو من امور الآخرة قال صاحب القوت الا انه كان يقول المنفرد يجد من حلاوة العبادة ما لا يجد المتزوج ،

وتفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا لان كلا من المعنيين يحتمله كلام ابى سليمان وقال محمد بن كعب القرظى التابعى رحمه الله تعالى فى معنى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة نقله صاحب القوت وروى مثل ذلك عن الحسن البصرى وغيره . وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته كذا فى القوت وفى رواية على امر الآخرة قاله لما نزل فى الذهب والفضة ما نزل فقالوا فاى مال نتخذه فذكره قال الغزالى : فأمر باقتناء القلب الشاكر وما معه بدلا عن المال فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر عن ثوبان قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير يسير ونحن معه اذ قال المهاجرون لو نعلم اى المال خير اذ انزل فى الذهب والفضة ما انزل

فقال عمران شئتم سألت لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا
أجل فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته على قعود لى فقال
يارسول الله ان المهاجرين لما نزل فى الذهب والفضة ما نزل قالوا لوعلمنا الآن
اى المال خير فقال ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة
تعين احدكم على ايمانه . وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى فلنحيينه حياة
طيبة قال الزوجة الصالحة نقله صاحب القوت وكان عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يقول ما اعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من المرأة الصالحة ولفظ
القوت بعد ايمان بالله خيرا من امرأة صالحة وان منهن غنما بضم الغين
المعجمة وسكون النون اى غنيمة لا يحذى منه بالبناء للمجهول من حذاه
بالحاء المهملة والذال المعجمة ومنهن غل لا يفدى منه . وقوله لا يحذى
منه من الحذيا وهو العطاء اى لا يعتاض عنه بعطاء ومعنى لا يفدى منه اى
لا قيمة له فتفدى به ولا يجوز لا راحة منه كالغل فصاحبها اسير تحتها لا يفتدى
ابدا الا بموتها وفى القوت منهن غل قمل كانت العرب فى معاقبتها للاسير
تسلخ جلد شاة ثم تلبس اياه حارا فيلتزق على جسده وينقبض ثم لا تنزعه
حتى يقمل وتنتثر منه الهوام فذلك هو الغل القمل مثل المرأة المكربة وقال
صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين كانت زوجته عونا
له على المعصية وازواجى عونا لى على الطاعات وكان شيطانه كافرا وشيطانى
مسلم لا يأمر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد
التى يقصدها الصالحون ويراعون ذلك فيهن الا انها تخص بعض الاشخاص
الذين لا كافل لهم ولا مدبر واما من كان له من يتكفل بقضاء واجب خدمته
فلا يحتاج الى معاونة المرأة ولا تدعو الى اخذ امرأتين بل الجمع بينهما ربما
ينغص المعيشة ويكدرها وتضطرب به امور المنزل لما بينهما من المعاداة
والغيرة الباطنية ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها فى
معاونته بعض الامور وما يحصل من القوة والشدة بسبب تداخل العشائر
فى بعضها بالصهورة فان ذلك مما يحتاج اليه فى بعض الاوقات لاجل دفع الشرور
وطلب السلامة من الاعداء لذلك قيل ذل من لا ناصر له وكذا قولهم المرء

بنفسِه قليلٌ و باخوانِه كثير ومن وجد من يدفع عنه الشرور و يتعصب له فى نصرتِه سَلم حَاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذلّ مشوّش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل كما هو مشاهد.

مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل

ومن الفوائد: مجاهدة النفس وتذليلها ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه التى ذكرناها اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية الرجل وفضل الرعاية عظيم الموقع وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها لا لكونها غير فاضلة فى حد ذاتها والا فقد قال صلى الله عليه وسلم يوم من والٍ عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته وهذا متفق عليه من حديث ابن عمر فى اثناء حديثٍ طويلٍ وليس من اشتغل باصلاح نفسه وصلاح غيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط بل الاول أعلى مقاما لتعدى نفعه الى الغير ولا من صبر على الاذى واحتمل الجفاء كمن رفه نفسه اى جعلها فى رفاهية اى سعة من العيش واراحها أى اعطاها الدعة والراحة فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله فى حصول كمال المشقة فى كل منهما من جهة اتعاب المال والبدن ولذلك قال بشر ابن الحرث الحافى رحمه الله تعالى فضل علىّ احمد بن حنبل رحمه الله تعالى بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وانما اطلب الحلال لنفسى وبقية الثلاث قد ذكرت قريبا. وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وقال بعضهم لبعض العلماء ان الرجل ليؤجر فى رفعه اللقمة الى فى امرأته من كل عمل اعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما من صنوف العبادات فقال له العالم اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى وهو مع اخوانه فى الغزو ولفظ القوت لاخوانه وهم معه فى الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك جهاد

سبيل الله وقتال لاعداء الله اى شئ افضل من هذا قال انا اعلم قالوا فما هو
قال رجل متعفف ذو عيلة اى عيال صغار قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما
متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه
وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى
فى الجنة كهاتين وفى حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفى الحديث
اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه وقال بعض السلف من
الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله
عليه وسلم من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله
عنه اوجب الله له الجنة البتة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له . كان ابن عباس
اذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى ان بعض المتعبدين
كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال
الوحدة اروح لقلبى واجمع لهمى ثم قال رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن
ابواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا
فكلما نزل واحد نظر الى وقال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الآخر نعم ويقول
الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت ان اسألهم هيبة من ذلك الى أن مر بى
آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من هذا المشؤم الذى تومئون اليه فقال
انت فقلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك فى اعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ
جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فما ندرى ما احدثت فقال لاخوانه
زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلاث وفى اخبار الانبياء عليهم
السلام ان قوما دخلوا على يونس النبى عليه السلام فاضافهم فكان يدخل
ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من
ذلك فقال لا تعجبوا فانى سألت الله تعالى وقلت ما انت معاقبى به فى الآخرة
فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها
وانا اصابر على ما ترون منها وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب
وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه

خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة فى نفسها فهو ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة و الرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه فى بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا فى المجاهدة وترتاض به نفسه واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية فى اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم المكاشفات فلا ينبغى ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفى فيها واما العبادة فى العمل بالكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اكثر من ذلك واعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة.

نية التزوج

وينبغى للزوج ان ينوى بتزوجه اتباع السنة وتكثير امة النبى صلى الله عليه وسلم والقيام بحسن الرعاية على الزوجة وحفظ الدين ورجاء ولد صالح يدعو له لقوله صلى الله عليه وسلم : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى . ولقوله صلى الله عليه وسلم : تنكح المرأة لمالها وجمالها ونسبها ودينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك . وقوله صلى الله عليه وسلم : من نكح المرأة لمالها وجمالها حرمه الله مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها . وقوله صلى الله عليه وسلم : لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها . وتقدمت الاحاديث فيما ينبغى ان ينوى الزوج كقوله صلى الله عليه وسلم : من نكح

وانكح لله استحق ولاية الله .

البناء

وهو دخول الزوج بزوجته ويستحب أن يكون ليلا . لقوله صلى الله عليه وسلم : زفوا عرائسكم ليلاً واطعموا ضحى . وان الشهور كلها فى ذلك سواء . لكن يستحب شوال خلافاً لمن زعم من الجهال كراهية العقد والدخول فى المحرم وشوال . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال فأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحظى عنده منى ؟ وكانت رضى الله عنها تستحب أن تدخل نساء ها فى شوال ، وكان صلى الله عليه وسلم يستحب النكاح فى رمضان . البناء فى اول الشهر أفضل من اخره لما يرجى من نجابة الولد المكون عند زيادة القمر . وفى يوم الاحد افضل من سائر الايام ، لما روى عن سيدنا على كرم الله وجهه : من ان الله عز وجل ابتدأ فيه خلق السموات والارض . وسئل صلى الله عليه وسلم عنه : فقال : يوم غرس وعمارة . لان الله ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها . ومما يستحب فيه البناء ايضاً يوم الجمعة : فقد سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال : يوم نكاح و خطبة ايضاً . نكح فيه آدم حواء عليهما السلام ، ويوسف عليه السلام زليخا و موسى بنت شعيب عليهما السلام . وسليمان عليه السلام بلقيس وصح أنه عليه الصلاة والسلام نكح فيه خديجة وعائشة رضى الله عنهما .

الوليمة

وليمة العرس مطلوبة وهل على سبيل الوجوب او الاستحباب قولان : ويستحب كونها بعد البناء ، ويحصل المستحب بما قدر عليه ما لم يكن سرفا او مباهاة ، واقل ذلك شاة . لما فى صحيح البخارى عن انس رضى الله عنه قال : ما اولم النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما اولم على زينب . اولم بشاة . فان لم يقدر على الشاة فمدين من شعير وهوا قل ما اولم به النبى صلى الله عليه وسلم على بعض ازواجه ففى صحيح البخارى عن صفية بنت

شَينَةَ قالت : اَوَلَمَ اَلنَّبى صلى الله عليه وسلّم على بعض نسائه بمدين من شعير » واولم صلى الله عليه وسلّم على صفية بنت حييّ بحيس . وهو السمن والتمر والاقط .

آداب الدّخول

وهى كثيرة : منها : ان يطهر باطنه ويزينه بالتوبة من جميع الذنوب والآفات والعيوب فيدخل طاهرا نظيفا حسا ومعنى لعل الله تعالى يكمل له امر دينه بالدخول على زوجة حسبما ورد فى الحديث : من تزوج فقد استكمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الثانى . ومنها : ان يستعمل السنة فى ذلك فيقدم رجله اليمنى ثم يقول : بسم الله والسّلام على رسول الله السّلام عليكم . ثم يصلى ركعتين او اكثر بما تيسر . ثم يقرأ الفاتحة ثلاثا ، وقل هو الله احد ثلاثا . ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلّم ثلاثا . ثم يدعو الله تعالى ويرغب اليه فى حسن العشرة والالفة الحسنة ودوام المحبة . ثم يقول : اللهم بارك لى فى اهلى وبارك لاهلى فىّ . اللهم ارزقهم منى وارزقنى منهم وارزقنى الفهم ومودّتهم وارزقهم الفى ومودّتى وحبب بعضنا الى بعض . ومنها ان يأمر الزوج زوجته بالوضوء ان كانت على غير طهارة وقت الدخول ثم يأمر بصلاة المغرب والعشاء ، لان العروسة قلّ ان تجدها تصلى هذين الوقتين ليلة الدخول فليحذر من ذلك . ثم يأمرها ان تصلى خلفه ركعتين وان تؤمن على دعائه . ومنها اذا فرغ من الصلاة والدعاء فانه يقبل بوجهه اليها ويجلس بازاءها ويسلم عليها ايضا ثم يضع يده على ناصيتها وهى مقدم الرأس .

وليقل اللهم انى اسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه واعوذبك من شرها وشر ما جبلتها عليه . كما ورد فى الحديث ، وورد ايضا ان من فعل ذلك اتاه الله خيرها وجنبه شرها . ثم يقرأ ايضا ويده على ناصيتها - سورة يس والواقعة ، والضحى والانشراح والنصر ، اى اذا جاء نصر الله ، وآية الكرسى . جاء كل ذلك مرة مرة ثم يقرأ سورة القدر ثلاث مرات كما ورد جميع ذلك ثم يضع يده على رقبتها ويقول سبع مرات ، يارقيب ، ثم يقرأ

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . قد ورد أن من فعل ذلك صان الله عليه أهله ولم يخش منهن سوء او كذلك يطلب فعل ذلك بالصبي فان الله تعالى يحفظه ببركته . ويطلب الزوج قبل ان يضع يده على ناصيتها أن يغسل طرف يدى العروسة ورجليها بماء فى آنية ، ويسمى الله تعالى ويصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يرش بذلك الماء أركان البيت . فقد ورد أن فعل ذلك ينفي الشر والشيطان بفضل الله تعالى ورد عن سيدنا على أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : اذا دخلت العروسة بيتك فاخلع نعليها واغسل رجليها بالماء ، ورش به اركان البيت يدخل بيتك سبعون نوعا من البركة والرحمة . وينبغى أن لا يدع أحدا يقف عند الباب لأن لا يشوس عليه . وان يباسط العروسة بالكلام الحسن مما يقتضي الفرح بها لزوال الوحشة عنها . فان لكل داخل دهشة ولكل غريب وحشة . وان يلقمها فى فمها من الطعام والحلاوة ثلاث لقم كما جاء بذلك الاثر .

منافع الجماع وثوابه

وأما الجماع والباه ، فكان هديه فيه أكمل هدى ، تحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها . فان الجماع وضع فى الاصل لثلاثة امور هى مقاصده الأصلية : أحدها : حفظ النسل ، ودوام النوع الانسانى الى ان تتكامل العدة التى قدر الله بروزها الى هذا العالم . الثانى : اخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن . الثالث : قضاء الوطر ، ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة . وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة ، اذ لا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الانزال . وفضلاء الاطباء يرون : أن الجماع من أحد اسباب حفظ الصحة . قال جالينوس : الغالب على جوهر المنى : النار والهواء ، ومزاجه حار رطب ، لان كونه : من الدم الصافى الذى تغتذى به الاعضاء الأصلية . واذا ثبت فضل المنى فاعلم : انه لا ينبغى اخراجه الا فى طلب النسل ، او اخراج المحتقن منه . فانه اذا دام احتقانه ، أحدث أمراضا رديئة ، منها : الوسواس والجنون والصرع ،

وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا . فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية ، توجب امراضا ردية كما ذكرنا . ولذلك تدفعه الطبيعة - اذا كثر عندها من غير جماع .

وقال بعض السلف : ينبغي للرجل ان يتعاهد من نفسه ثلاثا : ينبغي ان لا يدع المشي ، فان احتاج اليه يوما ؛ قدر عليه . وينبغي ان لا يدع الاكل فان امعاءه تضيق . وينبغي ان لا يدع الجماع ، فان البئر اذا لم تنزح ذهب ماؤها . وقال محمد بن زكريا : من ترك الجماع مدة طويلة : ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها ، وتقلص ذكره . قال : ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف . فبردت ابدانهم ، وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم كآبة بلا سبب ، وقلت شهواتهم وهضمهم انتهى . ومن منافعه : غض البصر وكف النفس ، والقدرة على العفة عن الحرام ؛ وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه واخراه ، وينفع المرأة . ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويحبه ، ويقول : حبب الي من دنياكم النساء والطيب . وفي كتاب الزهد للامام احمد في هذا الحديث زيادة لطيفة ، وهي : اصبر عن الطعام والشراب ، ولا اصبر عنهن . اه كلام طب النبوى .

ورد ثواب عظيم فيمن يأتي اهله بالنية الصالحة بعد القبلة والملاعبة فعن عائشة رضى الله عنها : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ بيد امرأته يراودها كتب الله له حسنة . ومحا عنه سيئة . ورفع له درجة وان عانقها كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات . ورفع له عشر درجات . وان قبلها كتب الله له عشرين حسنة ومحا عنه عشرين سيئة ورفع له عشرين درجة . وان اتاها كان له خير من الدنيا وما فيها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من لاعب زوجته كتب الله له عشرين حسنة ومحا عنه عشرين سيئة فاذا اخذ بيدها كتب الله له اربعين حسنة ومحا عنه اربعين سيئة ، فاذا قبلها كتب الله له ستين حسنة ومحا عنه ستين سيئة ، فاذا اصابها كتب الله له مائة وعشرين حسنة ؛ ومحا عنه مائة وعشرين سيئة فاذا اغتسل نادى الله

الملائكة : فيقول : انظروا الى عبدى يغتسل من خوفى يتيقن انى ربه اشهدوا على بأنى قد غفرت له . فما يجرى الماء منه على شعرة الا كتب الله له بها حسنة . وفى « شفاء الصدور » عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : ان اخذت المرأة فى شأن زوجها او تزينت تريد بذلك رضاه كتب لها حسنات ومحا عنها عشر سيئات ورفع لها قدرها درجات فاذا دعاها فأطاعته ثم حملت منه كان لها مثل اجر الصائم القائم فى سبيل الله فان اخذها الطلق كان لها بكل طلق كمن اعتق رقبة مؤمنة فان وضعت لم يعلم قدر اجرها الا الله وكان لها بكل مصة من رضاع ولدها كعتق عشر رقاب فان فطم نوديت : استأنفى العمل قد غفر لك ما مضى . قالت عائشة لقد اعطى النساء خيرا كثيرا فما لكم معشر الرجال ؟ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما من رجل اخذ بيد زوجته يراودها الا كتب الله له خمس حسنات ، فان عانقها فعشر حسنات فان قبلها فعشرين حسنة فان اتاها كان خيرا من الدنيا وما فيها . فاذا قام ليغتسل لم يجر الماء على شئ من جسده الا محى عنه سيئة ورفع له درجة ويعطى بغسله خيرا من الدنيا وما فيها وان الله تعالى يباهى به الملائكة يقول : انظروا الى عبدى فى ليلة قرة باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأنى ربه اشهدكم بأنى قد غفرت له . رواه الثعالبى .

ما يهيأ قبل الجماع وما يعمل قبله

يطلب من الزوج ان يجعل فى فمه ما يطيبه لان ذلك موجب للمحبة وليس ذلك خاصا بليلة الدخول ، بل هو مطلوب فى سائر الاوقات . يسن للمرأة ان تتزين لزوجها وتتطيب . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « خير النساء العطرة المطهرة » والعطرة المتطيبة بالعطر والمتطهرة : المتنظفة بالماء . وقال سيدنا على كرم الله وجهه : خير نسائكم الطيبة الرائحة الطيبة الطعام : التى اذا انفقت انفقت قصدا . واذا امسكت امسكت قصدا ، فتلك من عمل الله وعمل الله لا يخيب وقالت عائشة رضى الله عنها : كنا نضمد جباهنا بالمسك فاذا عرقت احدانا سال ذلك على وجهها .

فيراه النبي صلى الله عليه وسلّم ولا ينكره .

ويسن ايضا للمرأة أن تكحل عينيها وان تخضب يديها ورجليها بالحناء دون نقش وتسويد . قال النبي صلى الله عليه وسلم : انى لا بغض المرأة ان اراها مرهاء او سلتاء . والمرهاء : التى لا تكحل بعينيها . والسلتاء : التى لا تخضاب بكفيها وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : معشر النساء اذا اختضبتن فايا كن والنقش ، ولتخضب احدا كن يديها الى هذا واشار الى موضع السوار . واما خضاب الرجل يديه ورجليه بالحناء فحرام . واما الحرقوس : الذى يزول بالماء فقط فلا بأس به . وان كان لا يزول الا بالتقشير او بجسد فلا . لانه مانع من وصول الماء للبشرة . واما تحمير الوجه بالحمرة وخضاب الشفتين بالسواك وتطريف الاصابع بالحناء فلا بأس بذلك . اه كلام أبى محمد التهامى .

اعلم ان احسن الجماع ما وقع بعد الهضم الاول والثاني وان كان لابد فينبغي أن يكون بعد استقرار الغذاء فى قعر المعدة حتى يكون ضررة اقل مما اذا كان ضافيا وعند اعتدال البدن وحرارته ويبوسته اسهل من خلائه وبرودته ويبوسته لان الضرر الحاصل منه عند امتلاء البدن الامراض السديه والامتلائيه وعند الخلاء الذوبان والجفاف فان كان مع حرارة يحصل منه الدق لان الجماع يهيج الحرارة الغريبة وان كان مع برودة يحدث دق الشيخوخة وكذلك عند غلبة البرد واليبس واذا وقع عند حرارة البدن فقط دون الخلاء فربما احدث حمى واما عند البرد فيحدث الرعشة والرعدة وينبغي ان لا يجامع الا اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام عند اجتماع المنى فى اوعيته وكثرته وشدة الشبق من غير ذكره ولا فكره فى مستحسن ولا نظر اليه ولا يكون من حكة كما عند الجرب ولا عن كثرة رياح بلا شهوة وعلامته أن يحصل عقيبه الخفة والنوم ومثل هذا الجماع ينعش الحرارة الغريزية ويحدث لذة ونشاطا ويبسط النفس ويزيل الغم والغضب والوسواس السوداوى والفكر الردئ والعشق ويهيئ البدن للاغتذاء ويخفف الامتلاء واوجاع الحالبين وينفع اكثر الامراض السوداوية والبلغمية والدموية وربما وقع تارك الجماع فى امراض كالدوار وظلمة وثقل البدن

والرأس وورم الخصية والحالب ووجع الركبة فاذا عاد اليه برئ بسرعة إهـ كلام اتحاف السادة .

لا يجامع الرجل زوجته وهى فى ثيابها بل حتى تنزعها كلها وتدخل معه فى لحاف واحد لان السنة هى التجريد من الثياب والفراش ، وظاهره انه لا يجامعها وهما مكشوفان وهو كذلك لحديث « اذا جامع احدكم فلا يتجردان تجرد الحمارين . وكان صلى الله عليه وسلم عند الجماع يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة .

ومما ينبغى تقديمه على الجماع : ملاعبته المرأة وتقبيلها ، ومص لسانها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلاعب اهله ويقبلها . وروى ابو داود فى سننه : انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل عائشة ويمص لسانها . ويذكر عن جابر بن عبد الله ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة .

وحكمة ذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها . فاذا اتاها على غفلة فقد يقضى حاجته قبل ان تقضى هى فيؤدى ذلك الى تشويشها او فساد دينها ، والخير كله فى السنة ، وهى ان لا يأتيها حتى يحادثها ويؤانسها ويضاجعها ثم يقبل على حاجته . وفى الحديث « ثلاثة من العجز : ان يلقى الرجل من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه ونسبه . وان يكرمه اخوه فيرد كرامته . وان يقارن الرجل جاريته قبل ان يحدثها ويؤانسها ويضاجعها ويقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها . إهـ كلام ابى محمد التهامى

المطلوب عند ارادة والمطلوب حال الجماع

يستحب ان يبدأ فيه قبله باسم الله تعالى بأن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وهو احد المعانى فى تفسير قوله تعالى وقدموا لانفسكم اى قدموا لانفسكم التسمية عند الجماع اى اذكروا اسم الله عنده ويقرأ قل هو الله احد اولا تبركا بهذه السورة اذ هى تعدل ثلث القرآن كما فى الخبر ويكبر

ويهلل وايهما قدم جاز يقول بسم الله العلى العظيم اللهم اجعله ذرية طيبة ان كنت قدرت ان يخرج من صلبى . وقال صلى الله عليه وسلم لو أن احدكم إذا اتى اهله اى حليلته قال اللهم جنبنى وفى رواية الجماعة بسم الله اللهم جنبنا الشيطان اى ابعده عنا وجنب الشيطان مارزقتنى وفى رواية الجماعة مارزقتنا اى من الاولاد فان كان بينهما ولد ذكرا وانثى لم يضره الشيطان باضلاله واغوائه ببركة التسمية فلا يكون للشيطان عليه سلطان فى بدنه ودينه ولا يلزم عليه عصمة الولد عن الذنب لان المراد من نفى الاضرار كونه مصونا عن اغوائه بالنسبة للولد الحاصل بلا تسمية او بمشاركة ابيه فى جماع امه او المراد لم يضره الشيطان فى اصل التوحيد وفيه بشارة عظمى ان المولود الذى يسمى عند الجماع الذى قضى بسببه يموت على التوحيد وفيه ان الرزق لا يختص بالغذاء والقوت بل كل فائدة انعم الله بها على عبد رزق الله تعالى فالولد رزق وكذا العلم والعمل وفى رواية الجماعة فانه ان قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان ابدا قال العراقى متفق عليه من حديث ابن عباس وكان بعض اهل الحديث يكبر قبل الجماع حتى يسمع اهل الدار يرفع بالتكبير صوته ولعل ذلك ادعى لطرد الشيطان اذ يسن التكبير عند الحريق والشيطان من نار فالتكبير يطفئه ثم لينحرف عن القبلة يمينا او شمالا فلا يستقبلها بالجماع اكراما للقبلة فان فى هذه الحالة كشفا للعورة وذهابا لبعض مسكة فى العقل فلا ينبغى أن يستقبلها فى هذه الحالة اهـ كلام اتحاف السادة . يطلب من الزوج عند ارادة الجماع أن يأخذ ذكره بشماله ويحك برأس الكمرة سطح الفرج ويدغدغه ثم يرسله فيه ولا ينزعه حتى ينزل فاذا حس بالانزال أدخل يده تحت وركها ويهزها هزا شديدا فانهما يجدان لذلك لذة عظيمة لا توصف. قال فى « الايضاح » والشكل الذى تستلذه المرأة عند الجماع هو أن تستلقى المرأة على ظهرها ويلقى الرجل نفسه عليها ويكون رأسها منكوسا الى اسفل كثيرا لتصوب ويرفع وركها بالمخاد ويحك برأس الكمرة على سطح الفرج يدغدغه ثم يستعمل بعد ذلك مايريد فاذا احس

بالانزال فليدخل يده تحت وركها ويشيلها شيلا عنيفا فان الرجل والمرأة يجدان فى ذلك لذة عظيمة لا توصف.

قال ابن القيم واحسن اشكال الجماع: ان يعلو الرجل المرأة مستفرشا لها، بعد الملاعبة والقبلة. وبهذا سميت المرأة فراشا، كما قال صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش. وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة، كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء. وكما قيل:

اذا رمتها كانت فراشا يقلني وعند فراغي: خادم يتملق

وقد قال تعالى: هن لباس لكم، وانتم لباس لهن. واكمل اللباس واسبغه على هذه الحال؛ فان فراش الرجل لباس له، وكذلك لحاف المرأة لباس لها. فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية، وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر. اهـ كلام ابن قيم.

يستحب عند الانزال ان يقرأ سرا: الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا. قال فى الاحياء: واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك: الحمد لله خلق من الماء بشرا الآية. اللهم ان كنت خلقت خلقا فى بطن هذه المرأة فكونه ذكرا وسمه احمد بحق محمد صلى الله عليه وسلم: رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين. اهـ

اذا انزل قبل زوجته فانه يطلب منه ان يمهل حتى تنزل لان ذلك هو السنة. ففى الحديث: ارضوهن فان رضاهن فى فروجهن. اجتماع ماء الرجل وماء المرأة موجب للمحبة وضد ذلك موجب للفرقة. قال فى الايضاح - ومتى اجتمع الماء منه ومنها فى وقت واحد كان ذلك هو الغاية فى حصول اللذة والمودة والتعطف وتأكيد المحبة وان اختلفا اختلافا قريبا كانت اللذة والمودة على قدر ذلك، وان كان بينهما بون بعيد فما اقرب تباعدهما وما اسرع الفرقة بينهما. المطلوب حالة الجماع ان لا يكون معه فى البيت احد ولو طفلا صغيرا. وذكر ابو عبد الله ابن الفخار فى بعض اجوبته: ان النهى عن ذلك الكراهة لان الاصل اباحة الوطء. وانما كره لان الحياء من الدين، وقد نص فى النوادر على ان مالكا كره ذلك. وهذا

حيث يمكن اخراج من فى البيت. اما ان كان لا يمكن او كان فى اخراجه مشقة لكونه ليس له الا مسكن واحد مثلا فانه يجعل حائلا بينه وبينهم ويتحافظ من الصوت فى ذلك

العدد المعتدل فى كل جمعة ووقت الجماع

قال صاحب النصيحة وحقها اى الذى يقضى لها به فى كل جمعة مرتان واحفظه اى الجماع للصحة ان كان: اى الرجل معتدل المزاج فى الجمعة مرة اهـ وقضى سيدنا عمر رضى الله عنه بمرة فى الطهر لانه يحبلها ويحصنها نعم ينبغى ان يزيد وينقص بحسب حاجتها فى التحصين لان تحصينها واجب عليه. ولا ينبغى للزوج ان يقلل عليها حتى تتضرر ولا يكثر عليها حتى تمل. ولا يجوز الامتناع من غير عذر - لحديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: جائت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ قال: ان لا تمنع نفسها ولو كانت على ظهر قتب. وقوله عليه الصلاة والسلام: اذا دعا الرجل زوجته الى فراشها فابت من ذلك لعنتها الملائكة حتى تصبح. وليس من العذر خوفها على ولدها الرضيع، لان المنى يكثر اللبن - والله اعلم. وشرع للمجامع اذا اراد العود قبل الغسل - الوضوء بين الجماعين؛ كما روى مسلم فى صحيحه - من حديث ابى سعيد الخدرى - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا اتى احدكم اهله، ثم اراد ان يعود فليتوضأ. وفى الغسل والوضوء بعد الوطء -: من النشاط وطيب النفس، واخلاف بعض ما تحلل بالجماع، وكمال الطهر والنظافة؛ واجتماع الحار الغريزى الى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع؛ وحصول النظافة التى يحبها الله ويبغض خلافها. مما هو من احسن التدبير فى الجماع، وحفظ الصحة والقوى فيه. وانفع الجماع ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن: فى حره وبرده، ويبوسته ورطوبته، وخلائه وامتلائه. وضرره عند امتلاء البدن اسهل واقل من ضرره عند خلوه. وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة: اقل منه عند اليبوسة؛ وعند حرارته: اقل منه عند برودته، وانما ينبغى ان

يجامع ، اذا اشتدت الشهوة ، وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ، ولا فكر فى صورة ، ولا نظر متتابع . ولا ينبغى ان يستدعى شهوة الجماع ويتكلفها ، ويحمل نفسه عليها . وليبادر اليه ، اذا هاجت به كثرة المنى ، واشتد شبقه . وليحذر جماع العجوز ، والصغيرة - التى لا يوطأ مثلها ، والتى لا شهوة لها - والمريضة ، والقبيحة المنظر ، والبغيضة . فوطء هؤلاء يوهن القوى ويضعف الجماع بالخاصية . وغلط من قال من الاطباء ، ان جماع الثيب انفع من جماع البكر ، واحفظ للصحة . وهذا من القياس الفاسد ، حتى ربما حذر منه بعضهم . وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ، ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة . وفى جماع البكر - من الخاصية ، وكمال التعلق بينها وبين مجامعها وامتلاء قلبها من محبته ، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره . - مما ليس للثيب . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر : هلا تزوجت بكرا ؟ . وقد جعل الله سبحانه - من كمال نساء اهل الجنة من الحور العين - : انهن لم يطمثهن احد قبل من جعلن له : من اهل الجنة . وقالت عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم : ارأيت لو مررت بشجرة قد ارتع فيها ؛ وشجرة لم يرتع فيها ؛ ففى ايهما كنت ترتع بعيرك ؟ ؛ قال : فى التى لم يرتع فيها . تريد انه لم يأخذ بكرا غيرها . وجماع المرأة المحبوبة فى النفس يقل اضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمنى . وجماع البغيضة يحل البدن ، ويوهن القوى مع قلة استفراغه . وجماع الحائض حرام طبعا وشرعا ؛ فانه مضر جدا ، والاطباء قاطبة تحذر منه .

يستحب الجماع ليلة الجمعة فانها افضل ليالى الاسبوع وهى مرادة بليلة العروب . تحقيقا لاحد التأويلين فى قوله صلى الله عليه وسلم : رحم الله من غسّل واغتسل . بتشديد السين من غسّل ، اخرجه اصحاب السنن قال السيوطى ويؤيده حديث : ايعجز احدكم ان يجامع اهله فى كل يوم جمعة فان له اجرين اثنين اجر غسله واجر غسل امرأته . اخرجه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة .

الاوقات التي يمنع فيها الجماع

فى القسطلانى ان الوطء فى الحيض حرام باجماع من اعتقد حله كفر اهـ و روى ان رجلا وامرأة اختلفا فى ولد لهما اسود، فقالت المرأة: هو ابنك وانكر الرجل، فقال سليمان عليه السلام: هل جامعتها فى حال الحيض؟ قال نعم. قال: هو ولدك، وانما سود الله وجهه عقوبة لكما. قيل: وهو المراد بقوله تعالى: ففهمناها سليمان. ذكره فى كشف الاسرار. وروى الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة مرفوعا: من وطئ امرأته وهى حائض فقضى بينهما ولد فأصابه جذام فلا يلومن الا نفسه اى لتسببه فيما يورثه. ولا يلوم الشارع لانه قد حذر منه.

يمنع الوطء ان ضاق وقت الصلاة بحيث ان جامع واغتسل لم يدرك الوقت. فان فعل فليتب الى الله عز وجل. ويمنع الوطء: ليلة عيد الاضحى لما قيل من ان الجماع فيها يوجب كون الولد سفاكا للدماء. وقال الغزالى رحمه الله: يكره الجماع فى ثلاث ليال من الشهر: الاول والاخير والنصف. يقال ان الشياطين يحضرون الجماع فى هذه الليالى. ويقال ان الشياطين يجامعون فيها. وروى كراهة ذلك عن علي ومعاويه وابى هريرة رضى الله عنهم. ويقال ان الجماع فى هذه الليالى يورث الجنون فى الولد والله اعلم.

الجماع يحذر منه فى حال العطش والجوع والغيظ لانه يسقط القوة كما قاله الرازى، وفى حال الفرح المفرط لانه يورث الغشاء وفى حال الشبع لانه يورث اوجاع المفاصل. وكذا عقب السهر والهم لانه يسقط القوة وكذا يحذر ان يكون قبله قئ او اسهال او تعب او خروج دم او عرق او بول كثير، او ضرب من ضروب الاستفراغات لانه مضر كما قاله الرازى ايضا، وكذا يحذر منه بعد الخروج من الحمام لانه يملأ الرأس اوقبله لانه يسقط القوة. والله اعلم. قال الرازى رحمه الله: وليتوق صاحب المزاج اليابس الجماع فى الازمنة الحارة وصاحب المزاج البارد ينبغى ان يقلل منه فى الصيف والخريف ويتركه البتة فى وقت فساد الهواء والامراض الوبائية اهـ

الجماع الضّار

والجماع الضّار نوعان: ضارٌ شرعاً، وضارٌ طبعاً. فالضار شرعا: المحرم. وهو مراتب بعضها أشد من بعض. والتحريم العارض منه أخف من اللازم: كتحريم الاحرام والصيام والاعتكاف، وتحريم المظاهر منها قبل التكفير، وتحريم وطء الحائض، ونحو ذلك. ولهذا لاحدّ في هذا الجماع.

وأما اللازم، فنوعان: نوع لا سبيل الى حله البتة؛ كذوات المحارم. فهذا من اضر الجماع، وهو يوجب القتل حداً عند طائفة من العلماء: كأحمد ابن حنبل - رحمه الله - وغيره. وفيه حديث مرفوع ثابت. والثانى: ما يمكن أن يكون حلالا؛ كالاجنبية. فان كانت ذات زوج، ففى وطئها حقان: حق لله، وحق للزوج. فان كانت مكروهة، ففيه ثلاثة حقوق. وان كان لها أهل واقارب - يلحقهم العار بذلك - صار فيه أربعة حقوق. فان كانت ذات محرم منه: صار فيه خمسة حقوق. فمضرة هذا النوع بحسب درجاته فى التحريم.

وأما الضّار طبعا، فنوعان ايضا: نوع ضار بكيفيته؛ ونوع ضار بكميته، كالاكثار منه؛ فانه يسقط القوة، ويضر بالعصب، ويحدث الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر وسائر القوى، ويطفئ الحرارة الغريزية، ويوسع المجاري ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية. الوطء فى الدبر حرام لما ورد من قول النبى صلى الله عليه وسلم: إتيان النساء فى ادبارهن حرام. وقوله: ملعون من أتى امرأته فى دبرها، وقوله: من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ويقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول - يعنى به اللواطة. والناكح يده. وناكح البهيمة وناكح المرأة فى دبرها. وجامع المرأة وابنتها. والزانى بحليلة جاره. والمؤذى جاره حتى يلعنه. وأما التمتع بظاهر الدبر فيجوز ولو بوضع الذكر عليه الا انه يتقى أيضا للذريعة وخوفا من تحريك شهوتها كما يجوز الاستمتاع بالفخذين.

الجماع يجتنب فى حال القيام لانه يضعف الكلا والركب وفى حال الجلوس

لانه يورث وجع الكلا والبطن والعصب وتحدث معه القروح وكذلك يجتنب على الجنب لانه يضر بالاوراك . وكذا يجتنب صعود المرأة على الرجل لانه يورث القروح فى الاحليل : ويكره الكلام عند الجماع لقوله صلى الله عليه وسلم : لا يكثر احدكم الكلام عند الجماع فانه منه يكون الخرس

فى المدخل : وليحذر مما عمت به البلوى ، وذلك ان الرجل اذا رأى امرأة واتى اهله يجعل بين عينيه تلك المرأة التى رآها ، وهذا نوع من الزنا.

المواضع التى يحذر الجماع فيها

الجماع يحذر منه على السطح وتحت شجرة مثمرة لانه مؤذ للولد وكذا يحذر منه مستقبلا للقبلة او مستدبرا لها حيث كان بالفضاء : اى الصحراء فان كان بالبيت فالمشهور الجواز .

وكذا يحذر من الجماع مستقبلا للبدر ، اى القمر والشمس لما ورد من انهما يلعنان فاعل ذلك كما فى المدخل ، لكن المشهور فى هذا الجواز .

فقد قيل ان الجماع على السطح وتحت شجرة مثمرة وقبالة الشمس والقمر يورث فى الولد السرقة والفطرسة والله اعلم .

تنبيهات :

الاولى فى النصيحة : واذا اراد تكوين الولد ذكرا فليأمرها بالنوم على شقها الايمن عند فراغه . والانثى بالعكس وللبطالة بنومها مستلقية على ظهرها ونحوه . وقال ابن عرضون : قال صاحب الايضاح ، ينبغى اذا احس بالانزال ان يميل على جنبه الايمن وكذلك اذا نزع يميلها ايضا على جنبها الايمن . فان الولد يتعقد ذكرا ان شاء الله اهـ

الثانية يمنع لكل من الزوجين ان يفشى سر الاخر لغيره ، لان ذلك امانة يجب حفظها ، وعورة يجب سترها ، ولما ورد من الوعيد الشديد فى ذلك .

الثالثة قال فى النصيحة : ويعلمها حقوق الزوجية ، واقامة البيت اما حقوق الزوجية فهى كثيرة ووردت احاديث فى الوعظ والوعيد عليها ، قال فى الاحياء : القول الشافى فى حقوق الزوج على الزوجة ان النكاح نوع رق

فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه إهـ
وقال بعضهم : القول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضوره ، وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من بيتها إلا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة ان يسمع غريب صوتها ، اويعرفها بشخصها ، لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها او تعرفه وهمها اصلاح شأنها ، وتدبير بيتها قبلة على صلاتها وصيامها ، قال : وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله : وتقدم حقه على نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها أن شاء ، مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج إهـ .

الرابعة من آداب الزوج أن يعاشر زوجته بحسن الخلق وان يصبر على الأذى وان يكون حليماً عند غضبها وان لا يمازحها بما فيه جفاء وخشونة ، وان يكون غيوراً ، وان يمنعها من الخروج رأساً ، فان اضطرت للخروج علمها شروطه بأن تخرج طرفي النهار في اخشن ثيابها وارخائها خلفها شبراً اوذراعاً وان تمشي في طرف الطريق ، وان لا يكون عليها ريح الطيب وان لا تكشف شيئاً من جسدها ، ومن آدابه ايضاً ان يحجب زوجته عن أقاربه كأخيه وعمه ونحوهما ، وان يعلمها التوحيد والفرائض واحكام الحيض والنفاس ونحو ذلك ، وان يعدل بين ازواجه ، ولا يميل الى بعضهن كما يأتي ، وان يؤدبها ويعظها ، وله أن يهجرها ويضربها إن خالفت أمره ان ظن افادته والله أعلم . واما اقامة البيت بكل ما تقدر عليه من طبخ وتنظيف ونحوهما فان الانسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده ولم يتفرغ للعلم والعمل ، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين

تتمة فى حفظ الصحة بالطيب وفى المحاذير والوصايا الكلية النافعة

لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح ، والروح مطية القوى ، والقوى تزداد بالطيب . وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الاعضاء الباطنة ، ويفرح القلب ويسر النفس ، ويبسط الروح . وهو اصدق شئ للروح ، واشده ملاءمة لها ؛ وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة - : كان احد المحبوبين من الدنيا ، الى اطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه .

وفى صحيح البخارى : انه صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب . وفى صحيح مسلم - عنه صلى الله عليه وسلم ؛ من عرض عليه ريحان فلا يرده ، فانه طيب الريح ، خفيف المحمل . وفى سنن ابى داود والنسائى - عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل ، طيب الرائحة .

وفى مسند البزار ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال : ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود . فنظفوا افناءكم وساحاتكم ؛ ولا تشبهوا باليهود : يجمعون الاكباء فى دورهم (الاكباء) : الزبالة .

وذكر ابن ابى شيبة : انه صلى الله عليه وسلم كان له سكة يتطيب منها . وصح عنه انه قال : ان لله حقا على كل مسلم : ان يغتسل فى كل سبعة ايام ؛ وان كان له طيب : ان يمس منه .

وفى الطيب من الخاصية : أن الملائكة تحبه ، والشياطين تنفر عنه . واحب شئ الى الشياطين : الرائحة المنتنة الكريهة ، فالارواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والارواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة . وكل روح تميل الى ما يناسبها . فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات . وهذا وان كان فى النساء والرجال - فانه يتناول الاعمال والاقوال ، والمطاعم والمشارب والملابس والروائح ، إما بعموم لفظه ، او بعموم معناه .

قال ابن ماسويه : من أكل البصل أربعين يوما ، وكلف (وجهه) ، فلا

يلومنّ الا نفسه . ومن افتصد فأكل مالحا ، فاصابه بهق او جرب ، فلا يلومنّ الا نفسه . ومن جمع في معدته البيض والسمك ، فاصابه فالج او لقوة ، فلا يلومنّ الا نفسه . ومن دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه فالج ، فلا يلومنّ الا نفسه . ومن جمع في معدته اللبن والسمك ، فاصابه جذام او برص او نقرس ، فلا يلومنّ الا نفسه . ومن جمع في معدته اللبن والنبيذ ، فأصابه برص ونقرس فلا يلومنّ الا نفسه . ومن احتلم ، فلم يغتسل حتى وطئ أهله - فولدت مجنونا او مخبّلا - فلا يلومنّ الا نفسه . ومن اكل بيضا مسلوقا باردا ، وامتلأ منه - فأصابه ربو - فلا يلومنّ الا نفسه . ومن جامع ، فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة - فلا يلومنّ الا نفسه . ومن نظر في المرآة ليلا - فاصابه لقوة ، او اصابه داء - فلا يلومنّ الا نفسه .

وقال ابن بختيشوع : احذر ان تجمع بين البيض والسمك : فانهما يورثان القولنج وارياح البواسير ، ووجع الاضراس . وادامة اكل البيض تولّد الكلف في الوجه . واكل المملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام ، يولّد البهق والجرب . وادامة اكل كلى الغنم يعقر المثانة . الاغتسال بالماء البارد ، بعد اكل السمك الطري ، يولّد الفالج . وطء المرأة الحائض ، يولّد الجذام . الجماع من غير ان يهريق الماء عقيبه ، يولّد الحصاة . طول المكث في المخرج ، يولّد الداء الدوي .

وقال ابقراط : الاقلال من الضار ، خير من الاكثار من النافع . وقال : استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب ، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب .

وقال بعض الحكماء : من اراد الصحة : فليجوّد الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظماء ، وليقلّل من شرب الماء ؛ ويتمدّد بعد الغداء ، ويتمشّ بعد العشاء ؛ ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء ، وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء . ومرّة في الصيف خير من عشر في الشتاء ، واكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ، ومجامعة العجائز تهرم اعمار الاحياء ، وتسقم ابدان الاصحاء . ويروى هذا عن علي كرم الله وجهه . ولا يصح عنه ، وانما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وكلام غيره .

وقال الحرث : من سره البقاء ؛ ولا بقاء - فليباكر الغداء ، وليعجل العشاء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء .

وقال الحرث : اربعة اشياء تهدم البدن : الجماع على البطنة ، ودخول الحمام على الامتلاء ، واكل القديد ، وجماع العجوز .

ولما احتضر الحرث : اجتمع اليه الناس ، فقالوا : مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك . فقال : لا تتزوجوا من النساء الا شابة ، ولا تأكلوا من الفاكهة الا في اوان نضجها ، ولا يتعالجن احدكم ما احتمل بدنه الداء . وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم ، مهلكة للمرة ، منبتة للحم . واذا تغدى احدكم : فلينم على اثر غدائه ساعة . واذا تعشى : فليمش اربعين خطوة .

وقال بعض الملوك لطبيبه : لعلك لا تبقى لي ، فصف لي صفة آخذها عنك . فقال : لا تنكح الا شابة ، ولا تأكل من اللحم الا فتيا ، ولا تشرب الدواء الا من علة ، ولا تأكل الفاكهة الا في نضجها . واجد مضغ الطعام . واذا اكلت نهارا : فلا بأس ان تنام . واذا اكلت ليلا : فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة ولا تأكلن حتى تجوع ، ولا تتكارهن على الجماع ، ولا تحبس البول ؛ وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك ، ولا تأكلن طعاما : وفي معدتك طعام . واياك ان تأكل ما تعجز اسنانك عن مضغه ، فتعجز معدتك عن هضمه . وعليك في كل اسبوع بقيئة تنقي جسمك . ونعم الكنز الدم في جسدك فلا تخرجه الا عند الحاجة اليه . وعليك بدخول الحمام : فانه يخرج من الاطباق ما لا تصل الادوية الى اخراجه .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : اربعة تقوي البدن : اكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان . واربعة توهن البدن : كثرة الجماع ، وكثرة الهم ، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة اكل الحامض . واربعة تقوي البصر : الجلوس تجاه الكعبة ، والكحل عند النوم ، والنظر الى الخضرة ، وتنظيف المجلس . واربعة توهن البصر : النظر الى القذر ، والى المصلوب ، والى فرج المرأة ؛ والقعود مستدبر القبلة . واربعة تزيد في الجماع : اكل العصافير ، والاطريفل (الاكبر) ، والفستق ، والخروب ؛ واربعة تزيد

فى العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة الصالحين، ومجالسة العلماء.

وقال أفلاطون: خمس يذبن البدن - وربما قتلن: قصر ذات اليد، وفراق الاحبة، وتجرع المغايظ، ورد النصح، وضحك ذوى الجهل بالعقلاء.

وقال طبيب المأمون: عليك بخصال - من حفظها فهو جدير ان لا يعتل الا علة الموت: لا تأكل طعاما وفى معدتك طعام. واياك ان تأكل طعاما تتعب اضراسك فى مضغه، فتعجز معدتك عن هضمه. واياك وكثرة الجماع: فانه يقتبس نور الحياة. واياك ومجامعة العجوز: فانه يورث موت الفجأة. واياك والفصد الا عند الحاجة اليه. وعليك بالقيء فى الصيف.

ومن جوامع كلمات ابقراط، قوله: كل كثير فهو معاد للطبيعة. وقيل لجالينوس: مالك لا تمرض؟ فقال: لانى لم اجمع بين طعامين رديئين، ولم ادخل طعاما على طعام، ولم احبس فى المعدة طعاما تأذيت به.

واربعة اشياء تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والاكل الكثير، والجماع الكثير. فالكلام الكثير: يقلل مخ الدماغ ويضعفه، ويعجل الشيب. والنوم الكثير: يصفر الوجه، ويعمى القلب، ويهيج العين، ويكسل عن العمل، ويولد الرطوبات فى البدن. والاكل الكثير: يفسد فم المعدة، ويضعف الجسم، ويولد الرياح الغليظة، والادواء العسرة. والجماع الكثير: يهدم البدن، ويضعف القوى، ويجفف رطوبات البدن، ويرخى العصب، ويورث السدد: ويعم ضرره جميع البدن، ويخص الدماغ لكثرة ما يتحلل منه: من الروح النفسانى. واضعافه اكثر من اضعاف جميع المستفرغات، ويستفرغ من جوهر الروح شيئا كثيرا.

وانفع ما يكون: اذا صادف شهوة صادقة من صورة جميلة حديثة السن حلالا؛ مع سن الشبوبية، وحرارة المزاج ورطوبته، وبعد العهد به، وخلاء القلب من الشواغل النفسانية، ولم يفرط فيه، ولم يقارنه ما ينبغى تركه معه: من امتلاء مفرط، اوخواء واستفراغ، اورياضة تامة، اوحر مفرط، اوبرد مفرط. فاذا راعى فيه هذه الامور العشرة: انتفع به

جدًا . وأيتها فقد : حصل له من الضرر بحسبه . وان فقدت كلها او اكثر : فهو الهلاك المعجل .

والحمية المفرطة في الصحة ، كالتخليط في المرض والحمية المعتدلة نافعة .

وقال جالينوس لاصحابه : اجتنبوا ثلاثا ، وعليكم بأربع . ولا حاجة بكم الى طبيب . اجتنبوا الغبار والدخان والنتن . وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام . ولا تأكلوا فوق شبعكم ، ولا تتخللوا بالباذروج والريحان ، ولا تأكلوا الجوز عند المساء . ولا ينم من به زكمة على قفاه ، ولا يأكل من به غم حامضا ولا يسرع المشي من افتصد : فانه يكون مخاطرة الموت . ولا يتقيأ من تؤلمه عينه . ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيرا . ولا ينم صاحب الحمى الباردة في الشمس . ولا تقربوا الباذنجان العتيق المبزر . ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار ، أمن من الاعلال . ومن دلك جسمه في الحمام بقشور الرمان ، أمن من الجرب والحكة . ومن اكل خمس سوسنات - مع قليل من مصطكى رومي . وعود خام ، ومسك - بقي طول عمره لا تضعف معدته ولا تفسد ومن اكل بزر البطيخ مع السكر ، نظف الحصى من معدته ، وزالت عنه حرقة البول .

اربعة تهدم البدن : الهم ، والحزن ، والجوع ، والسهر . واربعة تفرح : النظر الى الخضرة ، والى الماء الجاري ، والمحبوب ، والثمار . واربعة تظلم البصر : المشي حافيا ، والتصبح والإمساء بوجه البغيض والثقيل والعدو ، وكثرة البكاء ، وكثرة النظر في الخط الدقيق . واربعة تقوي الجسم : لبس الثوب الناعم ، ودخول الحمام المعتدل ، واكل الطعام الحلو والدسم ، وشم الروائح الطيبة . واربعة تيبس الوجه ، وتذهب ماءه وبهجته وطلاقته : الكذب والوقاحة ، وكثرة السؤال عن غير علم ، وكثرة الفجور . واربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته : المروءة ، والوفاء ، والكرم ، والتقوى . واربعة تجلب البغضاء والمقت : الكبر ، والحسد ، والكذب ، والنميمة . واربعة تجلب الرزق : قيام الليل ، وكثرة الاستغفار بالاسحار ، وتعاهد الصدقة ، والذكر اول النهار وآخره . واربعة تمنع الرزق : نوم الصبحة ، وقلة الصلاة ،

والكسل، والخيانة. واربعة تضر بالفهم والذهن: ادمان اكل الحامض والفواكه، والنوم على القفا، والهم، والغم. واربعة تزيد فى الفهم: فراغ القلب، وقلة التملى من الطعام والشراب، وحسن تدبير الغذاء بالاشياء الحلوة والدسمة، واخراج الفضلات المثقلة للبدن.

ومما يضر بالعقل: ادمان اكل البصل والباقلا والزيتون والباذنجان، وكثرة الجماع، والوحدة، والافكار، والسكر، وكثرة الضحك، والغم.

تمت هذه الرسالة بعون الله وبهدايته ان وجدت الخطأ فارجع الى أصلها، اكثر عباراتها من اتحاف السادة. جعلها الله نافعة لنا ولوالدينا ولاولادنا وجميع من اطلعها. وصلى الله على متبوعنا وشفيعنا ذى سنة حسنة وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين والله اعلم بالصواب.

بعناية المولى وتوفيقه:

كتبه: ابو داود اصبار محفوظ

سنبانغ - سنورى

فهرست الفوائد في النكاح